وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس – المدية –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية
تخصص: تاريخ

# دراسة كتاب أصول الحكم في نظام العالم لحسن كافي الأقحصاري

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
تخصص تاريخ الدولة العثمانية

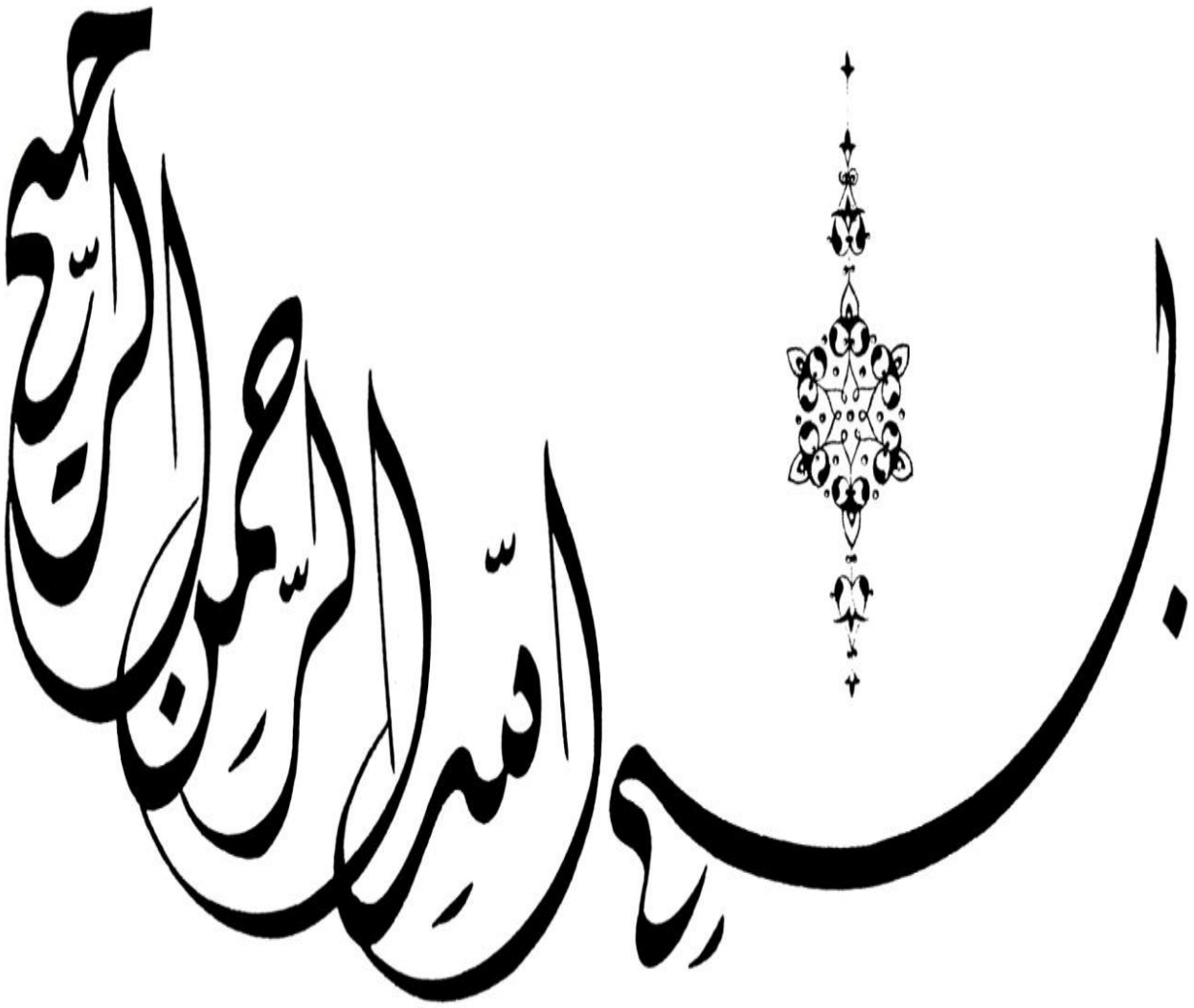
إعـــــداد الطـــــالبتين:
- علون صبرينة
- الوزري سميرة

إشـــــــــــراف:
أ. د بن الشيخ حكيم

اعضاء لجنة المناقشة

| | | |
|---|---|---|
| الأستاذ قريتلي حميد | | رئيسا |
| الاستاذ بن شيخ حكيم | | مشرفا |
| الاستاذ بوقرو ناصر | | مقررا وممتحنا |

السنة الجامعية:
2021م – 2022م



# شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه و سلم
أن كان هناك شكر فهو لله سبحانه وتعإلى عن كثير فضله وسائر نعمته
على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل
نتقدم بأسمينا آيات الشكر والإمتنان والتقدير والمحبة إلى أستاذنا المشرف الدكتور
" بن شيخ حكيم" الذي لم يبخل علينا بالنصائح السديدة والتوجيهات القيمة
لكل منا فائق التقدير والإحترام وفقك الله
كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتنا بكلية العلوم الإنسانية
والإجتماعية تخصص تاريخ الدولة العثمانية جامعة المدية
كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا من قريب
أو بعيد في إنجاز هذا البحث

# الإهداء

الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

٠إلى من علمني أبجديات الصبر وصنعني بتضحياته ،مصدر المحبة وينبوع العطاء،ورمز التفاني والوفاء

٠إلى الذي رباني على الفضيلة والأخلاق ، أبي العزيز حفظه الله

٠إلى التي علمتني الحياة وصنعت في الصفاء وعلمني

أن أكون وكيف أكون

٠إلى التي لم أجد كلمة توفي حقها قرة عيني أمي الحبيبة حفظهما الله

إليهما أهدي هذا الجهد المتواضع علامة حب وإجلال وفاء لشخصيهما

٠داعية الله عزوجل أن يجعل هذا العمل نوعا من برهما

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء سدد الله خطاهم كل بإسمه .

(محمد ٠هشام ٠ياسمين ٠سمية٠ عبير ٠هاجر)

٠إلى من عرفت معهن معنى الحياة صديقاتي الفضليات

أنعم الله عليهم بالخير

٠إلى كل من كان له أثر في حياتي من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل المتواضع

**صبرينة**

إهداء

قال الله تعالى: قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

... إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك...

ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك...

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله

٠إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة...ونصح الأمة ..إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

من كلله الله بالهيبة والوقار..إلى من علمني العطاء بدون انتظار ..إلى من أحمل .

اسمه بكل إفتخار ..أرجو من الله يرحمك ويتقبلك من الشهداء وستبقى كلماتك

. نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد ..والدي العزيز رحمه الله

إلى ملاكي في الحياة..إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة .

الحياة وسر الوجود ..إلى من كان دعاؤها سر نجاحي

وحنانها بلسم جراحي أمي الحبيبة

٠إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى إخوتي

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح والابداع إلى من تكاتفنا

يدا بيد ونحن نقطف زهرة تعلمنا ....

صديقاتي الغاليات

.أهدي هذا العمل المتواضع راجية المولى عزوجل أن يجد القبول والنجاح

**سميرة**

## قائمة المختصرات

| الكلمة | المختصر |
|---|---|
| الصفحة. | ص |
| الجزء. | ج |
| الطبعة. | ط |
| دون طبعة. | د.ط |
| دون مكان نشر. | د.م.ن |
| دون تاريخ نشر. | د.ت.ن |
| ترجمة. | تر |
| تقديم. | تق |
| مجلد. | مج |
| هجري. | ه |
| ميلادي. | م |

# مقدمة

## مقدمة

يمكن اعتبار القرن السادس عشر ميلادي مفترقا تاريخيا لما عرف من أحداث وتطورات هامة خاصة في تاريخ الدولة العثمانية ،حيث بلغت الدولة العثمانية في بداية هذا القرن أوج قوتها وتوسعها الخارجي ،بفضل قوة مؤسساتها العسكرية، إذ يمكن القول أن الدولة العثمانية دولة عسكرية بكل المقاييس وبالتالي فإن الجيش كان يمثل موضع إهتمام السلاطين، حيث عملو على توفير كافة الإمكانيات المتاحة لها ليصبح أكبر قوة عسكرية تهابها قوات وجيوش الدول الأخرى، وكان لفرق الأنكشارية الدور الفعال في الفتوحات الإسلامية العثمانية ثم تداخلت عليها عدة أسباب أدت إلى أن يكون لهذا الجيش دوره في إضعاف الدولة وسقوطها ولهذا كانت في نظر معظم المؤرخين ومن بينهم حسن كافي من بين أحد العوامل الرئيسية التي أدت إلى سقوط الدولة فيما بعد .

**دوافع إختيار هذا الموضوع:**

هناك مجموعة من الأسباب التي دفعتنا لإختيار هذا الموضوع منها:

- محاولة التعرف على شخصية حسن كافي الاقحصاري والدوافع التي أدت به لكتابة كتابه أصول الحكم في نظام العالم.
- محاولة معرفة لما ركز الكاتب على الجانب العسكري بصورة كبيرة.
- تلبية لميولات شخصية نحو الدراسات الدراسات العسكرية خصوصا خلال القرن السادس عشر ميلادي.

**إشكالية الموضوع:**

تندرج إشكالية موضوع بحثنا في إطار محاولة إبراز الأهمية والحقيقة حول الأسباب التي أدت إلى ضعف الجيش الأنكشاري وهل يرجع هذا الضعف إلى إهمال السلاطين ؟ أم نتاج عن تدخلات خارجية ؟ثم إن لموضوع البحث خلفية تاريخية تعود إلى البدايات الأولى لظهور الدولة العثمانية كقوة ضاربة، واشتداد الصراع بينهما وبين القوى الأوروبية ولعل السؤال الرئيسي للموضوع هو:

ما الأهمية والحقيقة التاريخية لضعف المؤسسة العسكرية العثمانية ؟

وكيف أثر هذا الضعف على الدولة ككل ؟

ولقد جرنا التعامل مع الإشكالية الرئيسية إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تتعلق بذات الموضوع لكن من جوانب متعددة.

ماهي أوضاع الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر ميلادي؟ وما طبيعة الجيش العثماني خلال هذه المرحلة ؟وما الأسباب التي أدت إلى بداية انهيار هذا الجيش ؟وما أهم النتائج المترتبة عن ذلك ؟

**المنهج المتبع:**

اتبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي لتتبع الحدث العسكري والسياسي والأوضاع التي سبقت وفق تسلسل زمني، ولجأنا إلى المنهج الوصفي لوصف الأحداث والوقائع ونقلها كما وردت في المصادر والمراجع.

**خطة الموضوع:**

وللإجابة عن هذه التساؤلات فإننا سنعالج هذا الموضوع من الناحية المنهجية بتقسيمه إلى مدخل تمهيدي وثلاث مباحث إضافة إلى خاتمة وقائمة المصادر والمراجع حيث احتوى التمهيد على أوضاع عامة للدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر ميلادي وتناولناها من جوانبها المختلفة سياسي واقتصادي وإجتماعي ...إلخ

أما المبحث الأول فقد خصص للتعريف بصاحب الكتاب *حسن كافي الاقحصاري * الذي يعتبر شاهد عيان وأرخ عن قرب مجريات الأحداث وكتابه أصول الحكم في نظام العالم الذي تعرفنا عليه عن كثب

ثم تطرقنا في المبحث الثاني إلى سياسة الفتوح العثمانية وخاصة في عهد سليم الثاني إبن سليمان القانوني وتعتبر هذي الفترة هي الفترة التي عاصرها حسن كافي حيث قدمنا تعريفا حول شخصية هذا السلطان وأهم المناطق التي قام بفتحها وعن أهم أهم معركة وقعت في عهده هي معركة الليبانتو سنة1571م ، وتكلمنا أيضا عن فترة السلطان محمد

الثالث التي وقعت في عهده موقعة أكري الشهيرة التي خصها الاقحصاري بالذكر كما تعتبر هذه الفترة فترة ضعف السلاطين لأنهم تقاعسو في الخروج على رأس جيوشهم ثم تطرقنا في المبحث الثالث والأخير عن أسباب ونتائج انهيار الجيش الأنكشاري فقد قدمنا فيه شرح لأسباب تمرد الأنكشارية وزيادة ثوراتهم مع مرور الزمن مع دراسة لأهم الأسباب سواء كانت إقتصادية أو سياسية أو إجتماعية كما تضمن هذا المبحث أيضا على ثورات الأنكشارية داخل القصر السلطاني وعزلهم للسلاطين والوزراء بل وقتلهم للبعض منهم وذلك من منطلق سيطرتهم وتحكمهم في سياسة القصر الداخلية، كما عالج هذا المبحث دورهم الواضح في إيقاف بعض الفتوحات وتعديهم على حرمة أهالي البلاد المفتوحة وأيضا عن النتائج المترتبة عن انهيار الجيش

**صعوبات هذا الموضوع:**

ومن الصعوبات الجديرة بالذكر هي عدم الحصول على بعض المصادر التي كانت مهمة وكذلك عدم إتقان اللغة التركية من أجل ترجمة بعض الكلمات

# مدخل تمهيدي

## أوضاع الدولة العثمانية خلال القرن 16 :

يتمثل القرن (16م / 10هـ )نقطة تحول تاريخية في غاية الأهمية بالنسبة للدولة العثمانية على المستوى المحلي بصفة خاصة والاوربي والعالم الإسلامي بصفة عامة ،فالدولة العثمانية قامت على الأنقاض الإمبراطورية البيزنطية التي استنبطت منها نظم الحكم والإدارة في إظهار مبادئ الدين الإسلامي الذي كان من أهدافها الأول منذ قيامها والدفاع عنه وحمل رايته في جميع أنحاء العالم.

تعّد السلطة العثمانية حكومة ملكية ،كانت في البداية حكومة عسكرية يدعمها الجيش، وكان العثمانيون في الحرب وأعدوا للفتوحات، ثم اتبعوا سياسة داخلية تخدم الجميع بدءا بالرعيّة وصولا إلى السلطان نفسه ووزرائه والديوان العثماني والهيمنة الدينية وهذا ما ورثه العثمانيون من الإمبراطورية البيزنطية بعد استيلائهم عليها .

### 1- الأوضاع السياسية للدولة العثمانية خلال القرن 16:

### أولا: السياسة الداخلية للدولة العثمانية:

- **السلطة الحاكمة :**

**-السلطان:** هو الرئيس الأعلى للدولة العليّة، الحاكم المطلق مسلم يستند في حكمه على نصوص الشريعة الإسلامية [1]وهو القائد الأعلى للقوات العثمانية عرف بعدة ألقاب منها خنكار بمعنى السلطان الأعظم وبادشاه [*] لما كان للسلطان سلطة مطلقة على جميع

---

[1]– لويس برناند، استانبول حضارة الخلافة الإسلامية، تع :سيد رضوان علي، ط ع، دار السعودية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1402 هـ –1982م، ص59 .

[*]– بادشاه :لقب وظيفي يتكون من باد وهي تخت أو عرش، وشاه تعني سيد أو صاحب وبذلك فكلمة بادشاه تعني السلطان أو الملك أو الحاكم، أطلق هذا اللقب على السلطان محمد الرابع.

للمزيد أنظر :مصطفى بركات، الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى الغاء الخلافة الإسلامية، من الآثار والوظائف والمخطوطات 1518 –1904م ،د .ط، دار الغرب، القاهرة، ص17 .

[2] – إسماعيل أحمد ياغي ،العالم العربي في التاريخ الحديث ،ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة السعودية، 1997م ،ص78 .

[3] – غالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288 –1916، ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص28 .

[4] – مصطفى بركات، المرجع السابق، ص36.

موارد الدولة باختلاف أنواعها[1] ويعتبر الممثل الوحيد لرعاياه ولمصالح الإسلام والمسلمين وكانت السكة تضرب باسمه ويخطب له منابر المساجد فهو يدافع عن دولة الإسلام ويحمي الأماكن المقدسة وينظم الحج بعنايته ويشرف على بعض الأعراف والتقاليد [2] ، وكذلك يتمتع بسلطة منح كل ألوان التكريم والقيادة والمناصب ونزعها حين يشاء [3]، إلى جانب استناده على القرآن والسنة ومن ثمّة المذاهب الأربعة وأخيرا مجموعة المراسيم التي يصدرها في ما يتعلق بكلّ المسائل الدينية والعلمانية التي تنّص عليها المصادر الثلاثة الأساسية للقانون الإسلامي التي تعرف بقوانين تامة * ولكي يتحصل السلطان على خبرة إدارية وعسكرية التي يقوم بإحدى الولايات التابعة للدولة قبل تولية العرش، كان الابن عادة ما يخلف أباه وليس بالضرورة أن يكون الابن الأكبر[4] وكثيرا ما كانت تنشب بين صراعات دموية حول وراثة العرش ما أدى إلى ظهور عادة قتل الإخوة فأصبح السلطان الحاكم يقتل إخوته بمجرد توليد السلطة

حيث يمتيز التنصيب العلني للعامل الجديد بمراسم البيعة *.

- **الصدر الأعظم:**

نعني به الوزير الأول ونائب المطلق للسلطان وممثله في السلطة التنفيذية له حق الإشراف والتفتيش في كل دوائر الدولة كما له الحق في المصادقة على كل تعيين أو تغيير أي منصب وعلى كل أمر من أوامر السلطان [5] ويشرف الصدر الأعظم على كل

---

* قانون نا مة :مأخوذ من الأصل اليوناني ،استخدمه المشرعون الأتراك للإشارة إلى التشريع السياسي والديني على حد سواء ،للمزيد أنظر :عبد الرحيم مصطفى ،في أصول التاريخ العثماني ،ط 2 ،دار الشروق ،بيروت ،1413 هـ – 1993م ،ص 107 .

1– المرجع نفسه ،ص 110 .

* البيعة :مؤسسة إسلامية قديمة كانت ترمز إلى قبول الخليفة الجديدة وإلى تقديم الولاء له وذلك عن طريق جماعة تمثل كل المسلمين، للمزيد أنظر :خليل اينالجيك :المرجع السابق، ص100 .

[5] – خليل اينالجيك، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، 1300 –1600م ،تر: عبد اللطيف حارس، ج1، دار المدار، الإعلام، بيروت، 2007، ص155 .

التعيينات الوظيفية العسكرية والمدنية فهو بذلك يتمتع بسلطات واسعة، ويسهر على تطبيق القانون كما أنه يصدر الأحكام باسم السلطان [1]

لم يكن له سلطة الخدمات الداخلية للقصر ولا على مجموعة العلماء الذين يتولى السلطان بنفسه مهمة تعيين الأعلى بينهم، كان يلي صدر الأعظم وزيران أو ثلاثة وزراء وكان لكل وزير منهم مهامه الخاصة فيشاركون في مداولات الديوان ويحلون محل الوزير الأول بصفة مؤقتة في حال غيابه عن العاصمة أو في حال عزله أو موته، كان يجلس على يمينه في الوزراء، وعلى يساره يجلس قاضيا الأناضول [2] واعتبر منصب الوزير الأول أو الصدر الأعظم عرضه للنزوات والدسائس في القصر ففي عام 1553م قام سليمان القانوني بعزل رستم باشا سعيا منه لتهدئة السخط الذي فجّره بين الصفوف الانكشارية جراء إعدام الأمير مصطفى [3].

- **الديوان الهمايوني:**

كان الديوان بمثابة مجلس للوزراء موسع في البداية كان السلاطين الأوائل يحضرون جلساته ويترأسون اجتماعية وبمجيء السلطان سليمان القانوني تخلى عن حضور جلساته ورئاسته للصدر الأعظم وتابع جلساته من وراء ستار، ومضى السلاطين من بعده في ذلك يتكون الديوان من حاكم والوزراء وكبار موظفي الدولة، يختص بإشراف على السكرتارية الخاصة بالصدر الأعظم وكبار الكتاب في الخزانة وحفظ القوانين وبحث كافة القضايا الهامة التي تخص الرعايا والأمور الداخلية والخارجية للدولة [4] وكل

---

[1] – غالي الغربي، المرجع السابق، ص30 .

[2] – الأناضول :شبه جزيرة مستطيلة مساحتها 755.688 كلم$^2$ غرب آسيا تفصل من الشمال الغربي يبحر مرمرة وقناة اسطنبول على القسم الأوروبي من تركيا وتطلق على الأراضي التركية الواقعة في آسيا، للمزيد أنظر :سهيل صيان، عبد الرزاق محمد حسين بركات، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، التاريخية، د/ط ،مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،1420هـ – 200م، ص39 .

[3] – روبير مونثران، الدولة العثمانية، تر بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م ،ص279 .

[4] – إسماعيل أحمد باغي، المرجع السابق ،ص81 .

القرارات الصادرة عن الديوان لا تنفذ إلا بموافقة السلطان عليها، لأنّ ذلك يعدّ شرطا أساسيا في نظام الحكم العثماني[1] .

**ثانيا: السياسة الخارجية للدولة العثمانية**

قامت السياسة الخارجية للدولة العثمانية على فكرة العالمية التي عمل السلطان بايزيد الأول.[2] على تطبيقها في الروملي.[3]

والأناضول، فاصطدم في المرة الأولى بتيمور لنك الذي تمكن من إجهاضها عام 1402م، وأعاد إمارة الأناضول إلى أصحابها واستعادت المماليك الأوروبية ما فقدته حتى عام 1402م إلى عام 1413، وأعتنق السلطان محمد الفاتح هذه الفكرة ،وعمل السلطان السلطان سليمان القانوني على ترسيخ مفهوم الدولة العالمية في أوروبا أواسط القرن (10ه/16م).

أ- **السياسة العثمانية مع الدول الإسلامية:**

- **الدولة الصفوية:** قرر إسماعيل شاه الصفوي مد نفوذه إلى الأراضي العثمانية الواقعة شرقي الأناضول ونجح في نشر مذهبه في أواسط الرعايا التركمان ،كما ثبت عدة إتصالات مع الدول الأوروبية بحثا عن حليف فما كان من الدولة إلا أن تنتهج سياسة عدائية ضده وكان ذلك في عهد السلطان سليم الأول.[4] الذي رأى أن الصفويين قد بالغوا في توسعهم في الحدود العثمانية فدخل إسماعيل الصفوي ديار بكر وجعل تبريز عاصمة له ،كما طلب من المماليك التحالف معه ضد العثمانيين للحد من توسعهم ، فكان على السلطان سليم سوى التوجه من أدرنة بإتجاه الصفويين لمحاربتهم

[1] – إسماعيل أحمد باغي، المرجع السابق، ن ص.

[2] بايزيد الأول تقلد الحكم عام 761،وعمره ثلاثين عام لقب بالبربق لخفته ومهاراته في الحرب ،للمزيد أنظر حضرة عزتلو يوسف بك ،تاريخ سلاطين بني عثمان ،تق،محمد غرب،ط1، مكتب مديولي ،القاهرة 1415ه _1995م،ص38.

[3] الروملي :بلاد الروم اسم أطلقه الأتراك على الإقليم الشمالي لتراقيا ومقدونيا بين البلقان والبحر الأسود ومرمرة وبحر إيجا للمزيد أنظر:سليمان البستاني ،عبرة وذكرة الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ،تح،خالد زيادة ،ط1،دار طليطلة ،بيروت ،1978.

[4] شمس الدين نجم زين العابدين ،تاريخ الدولة العثمانية ،ط1،دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، 1430ه _2010م، ص 140

وكان قد قضى على الشيعة الذين يقيمون في شرق الدولة العثمانية ،ليلتقي الجيشان في جالديران.[1]

كانت المعركة عنيفة بين الطرفين وهزم الصفويون عام (920ه_ 1514م) وفر الشاه إسماعيل وبذلك إستولى سليم على تبريز وبعد فتح بعض القلاع عاد إلى إسطنبول=نفسه ،ص ص99_100.

ظلت الأوضاع بين العثمانيين والصفويين على حالها إلى حين إعتلاء سليمان القانوني العرش فلم يقع اسماعيل شاه بتهنئته فكان هذا ايذانا بتوتر العلاقات بينهما لتبدأ الحرب، وبعد قيام الجيش العثماني بثلاث حملات متتالية ضد الصفويين بدأت بوادر الصلح لإقناع كلا الطرفين بضرورة إتمام الصلح[2]. وبهذا تم توقيع أول معاهدة بين الطرفين في رجب 962ه بموجب هذه المعاهدة إستقر العثمانيين في أذربيبجان وعاصمتها تبريز.

- **الدولة المملوكية:** تأرجحت العلاقات العثمانية المملوكية بين الود والتكريم الذي وصل إلى حد تبادل الهدايا والإنتصارات والنفور والتنازع الذي وصل إلى حد انصدام العسكري على الحدود بينهما وبسبب التهديدات البرتغالية لكل من الطرفين تحسنت العلاقة بينهما إذا إستنجد المماليك بالعثمانيين لمساعدتهم ،ونظرا لتسارع الأحداث في منطقة الشرق الإسلامي حدث إنصدام بين الدولة العثمانية والمملوكية، فبعد الحرب التي شنها السلطان سليم الأول على الصفويين ،بدأ يستعد للحرب على المماليك الذين رفضو إقامة تحالف عثماني مملوكي ضد إسماعيل الصفوي وإكتفوا بموقف المتفرج بل أرسل قانصوه الغوري[3] لعقد تحالف سري ضد الدولة العثمانية الذي وصلت أخباره إلى السلطان سليم

[1] مدينة جنوب قارص في شرق الأناضول حدثت فيها معركة جالديران عام 920ه _1514م ،إنتهت بإنتصار العثمانيين على الصفويين للمزيد أنظر:محمود شاكر ،مرجع سابق ،ص99.

[2] محمد عبد اللطيف هريدي،الحرب العثمانية الفارسية وأثرها في إنحصار المد الإسلامي عن أوروبا ،ط1،دار الصحوة ، القاهرة ،1480ه_1987م، ص 65.

[3] قانصوه الغوري :تولى السلطة في مصر عام 902ه، وهو لايريدها كان عمره 64 سنة قام بإصلاحات كثيرة وعاش معركة مرج دابق وعمره 80سنة للمزيد أنظر:محمود شاكر ،المرجع السابق،ص230.

الاول[1] وتمكن العثمانيون آنذاك من التحكم بالطرق التجارية ومصادر الخام البالغة الحيوية للمماليك العسكرية ،كما عرقلوا شراء الفتيان من أسواق البحر الأسود لنقلهم إلى مصر، وأدت الصدمات المسلحة، التي نشبت مع إمارة ذي القدر بين عامي 1483_1485م ،إلى أول حرب عثمانية مملوكية انتهت بالصلح بعد وساطة باي تونس ،لكن هذا الصلح لم يستمر أكثر من ربع قرن، حيث أن اتساع التعاطف مع العثمانيين من قبل المسلمين ، وإنتصار السلطان سليم الأول على الصفويين في جالديران قد أزعج السلطان المملوكي قانصوه الغوري، والواقع أن انتصار سليم الأول في جالديران كان مفاجأة غير متوقعة للمماليك ولم يستطع حكام مصر إخفاء خيبة أملهم، وكان على السلطان المملوكي أن يتخذ موقفا من التطورات السياسية والعسكرية بتبني أحد الإختيارات ولهذا فضل أن يقف على الحياد، تاركا الدولة العثمانية وحيدة في مواجهة الصفويين ،عد العثمانيون سياسة المماليك هذه مظهرا من مظاهر العدواة السافرة، وأخذوا ينظرون إليهم على أنهم العدو الرئيسي ،وقد نجح السلطان سليم الأول في تسريع الأحداث ضد المماليك=نفسه ، ص169.

كما أسرع بعد عودته من إيران إلى ضم إمارة ذي القدر الفاصلة بينه وبين المماليك والمشمولة بحماية هؤلاء واستثمر السلطان سليم الأول انتصاره هذا وضم حلب وحماة وحمص ودمشق، وكان السكان يرحبون به ويحتفون بمقدمه.[2]

**ب-السياسة العثمانية مع الدول الأوروبية**

خلف السلطان سليمان الأول أباه السلطان سليم الأول، وشهدت المرحلة الأولى من حكمه أحداثا كبرى وبخاصة في أوروبا، والواضح أن أبرز سمة في شخصية هذا السلطان، الذي كان بطبعه محبا للسلام، ويعد عهد السلطان سليم الأول وخليفته السلطان

[1] سهيل طقوش،تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة،ط3،دار النفائس ،بيروت،لبنان ، 2013،ص 168.

[2] محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح، احسان حقي، دار النفائس ،ط1، بيروت، 1401_1981م، ص192.

سليمان الأول المرحلة التي بلغت خلالها الدولة العثمانية ذروة قوتها، فكان طبيعيا أن تتطلع الدول الأوروبية إلى مقاومة هذه الدول

- **فتح بلغراد:** برزت المجر في أوروبا الشرقية كخصم تقليدي للعثمانيين، بعد زوال الصرب والبلغار في نهاية القرن الرابع عشر وزوال بيزنطة من قبل ،وإن هذه البلاد شكلت سورا منيعا ضد التقدم العثماني في أوروبا، ويبدو أن المجر ضعفت بعد ذلك بفعل بروز قوة الطبقة الأستقراطية على حساب الملكية القوية والقوى المسلحة.[1] =

وطرأ حادث أشعل نار الحرب الواسعة بين الطرفين، وذلك أن لويس الثاني ملك المجر، أقدم على قتل رسول سليمان الأول الذي جاء لإعلامه بارتقائه العرش ويطالبه بدفع الجزية السنوية المقترحة منه مقابل تجديد صلح.[2] وسرعان ما وصل الجيش العثماني إلى صوفيا عن طريق أدرنة، وتابع زحفه نحو الشمال، على أن تجتمع هذه الجيوش حول مدينه بلغراد ثم يلتحق السلطان بها.[1]

وتمكن أحمد باشا، أثناء تقدمه من فتح مدينة شاست الواقعة على نهر الدانوب القريبة من بلغراد، وبسقوط أزيل ذلك الجسر الذي حاول دون تقدم العثمانيين إلى الأقاليم الواقعة فيما وراء نهر الدانوب، وأضحى الطريق من بلغراد إلى الدانوب مفتوحا أمامهم

- **التعاون العثماني الفرنسي في عام 1553م**

بعد وفاة الملك فرنسوا الأول خلفه ابنه هنري الثاني ،ولم يسرع هذا الملك إلى تجديد المعاهدة مع العثمانيين ،وإن كان حريصا على تحالفه معهم ضد أعدائه النمساويين، لذلك تقرب من الدولة العثمانية للمحافظة على صداقتها، بهدف الإستعانة ببحريتها القوية عند الحاجة، بالإضافة إلى الفوائد الاقتصادية والدينية بجعل كافة النصارى الكاثوليك النازلين في أراضي الدولة العثمانية تحت حماية فرنسا.[3]

[1] سهيل طقوش، المرجع السابق،ص181.

[2] فريد بك ،مصدر سابق،ص199.

[3] طقوش ،مرجع سابق، ص205.

وجرت معاهدات تحالف بتاريخ 1553م هدفها توحيد النشاط البحري ونتيجة لذلك تعاونت البحريتان العثمانية والفرنسية في مهاجمة سواحل كلابريا وجزيرتي صقلية في عام 1555م، كان هذا التعاون العسكري الأخير بين الدولتين، بفعل تغير الظروف السياسية على المسرح الدولي حتى نشوب حرب القرم ،التي حاربت فيها فرنسا وإنكلترا إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا.[1]

- **حصار جزيرة مالطة:**

أرسل السلطان في أوائل 1565م ،عمارة بحرية مؤلفة من مائتي سفينة ،عليها ثلاثون ألف جندي، لفتح جزيرة مالطة نظرا لأهميتها الاستراتيجية ولأن الطائفة لاتزال تمارس القرصنة والتعدي على سفن ورعايا الدولة، كما كانت تساعد اسبانيا والدول الأوروبية في حربها مع العثمانيين، كان قائد الحملة الوزير الرابع مصطفى باشا، وابتداء الحصار في شهر رمضان واستمر أربعة أشهر وتمكن خلالها العثمانيون من إنزال عشرين ألف جندي على أرض الجزيرة، وجرى قتال دموي رهيب إلا أن مصطفى باشا إرتكب أخطاء تكتيكية أثناء الحصار ،وبحلول الشتاء وبسبب صعوبة الإستلاء على الجزيرة تقرر رفع الحصار في 1565م.[2]

**2- الوضع الاقتصادي:**

تستمد الدولة العثمانية قوتها من تنوع مواردها الطبيعية ومن استقرارها السياسي وسيادة الأمن والاستقرار، حيث كانت الدولة العثمانية تشكل في حد ذاتها سوقا داخليا دفع بالعديد من مؤرخين إلى اعتبارها اقتصاد العالم فمن اليمن إلى بولونيا ومن حدود فاس إلى شمال البحر كانت الدولة العثمانية عبارة عن سوق يستقطب التجار من جميع الآفاق من الشرق والغرب.

[1] طقوش، مرجع سابق، ص 206.

[2] فريد بك، مصدر سابق، ص249.

لقد كانت الحياة الاقتصادية مراقبة بشكل كبير من قبل الدولة عبر آليات مختلفة ومتعددة، تتمثل في مراقبة مختلف السبل الاقتصادية وذلك بعدة طرق زجرية تنصب عليها مختلف قوانين التي وضعها السلاطين العثمانيين والتي تهدف إلى حماية رعايا الدولة العلية وضمان استقرار الدولة عن طريق تمكينها من أكبر قدر من مداخيل فكانت تعتمد على الزراعة وذلك باتساع رقعتها الجغرافية للسلطة .

وبما أن الدولة العثمانية دولة إقطاعية فإن التقسيم الإداري داخل السلطة جعل من الأرض ذات أهمية بالغة في مقومات الاقتصاد العثماني الذي هو في آن واحد نظام عسكري واقتصادي واجتماعي قائم على المبدأ الذي تأسست عليه الدولة العثمانية ،وهو القائل بأن كل الأراضي الزراعية في المملكة هي ملك للدولة باستثناء الأراضي التي كانت مخصصة للأوقاف ،ومن ثم فإن الأراضي التي انضوت تحت هذه الصيغة أصبح يطلق عليها في الاصطلاح العثماني باسم " ميري" أو " وقف " كما تندرج أيضا أراضي الغابات ضمن هذا النطاق [1]

فقد كان العلاج ملزما بأداء جزء كبير من الضرائب والإيتاوات سواءا نقدا أو عيشا حيث يسلم جزءا منها إلى الخزانة وجزء آخر إلى صاحب الأرض، وكان العشر أهم الضرائب المفروضة على الزراعة وعلى الحبوب بشكل عام، وكانت النسبة المأخوذة من أي محصول عن طريق العشر تختلف من ولاية لأخرى حسب الظروف والأوضاع السائدة في كل مقاطعة أو ايالة [2]

وبذلك لقد احتلت الأرض والقطاع الزراعي المكانة الرئيسية داخل الاقتصاد العثماني وكانت العثمانية تعتمد أيضا على التجارة ،ولا يمكن للمدن أن تزدهر وتنتعش إذ لم تعمل الحكومة على ترقية وتنمية مختلف مجالات النشاط القائمة فيها، حيث يتم ممارسة

[1] – فيصل بن موسى، السلطة الحاكمة والهيئة الدينية في الدولة العثمانية خلال القرن 10 هـ – 16 م ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ( مرقونة ) ،جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،الجزائر ،2012– 2013م ،ص37.

[2]– خليل اينالجيك، المرجع السابق، ص602 .

النشاط التجاري بشكل واسع بين مختلف المدن وذلك عن طريق البر والبحر، وإبرام العديد من المعاهدات والاتفاقيات التجارية وبسبب الموقع الذي كانت تحتله السلطة العثمانية في القرن 16 كان لها نصب وآخر أهمية من جهة النقل والمواصلات [1].

حيث اهتم السلاطين بني عثمان خلال القرن 16 بالجاني الصناعي كونهم كانوا يدركون الأهمية البالغة لهذا الجانب في الحياة الاقتصادية العثمانية كون الصناعة بمثابة مرآة المجتمعات ودليل تحضرهم هو تخلفهم، فقاموا بإنشاء دور الصناعة والمعاملة وتعميم الرخاء الأمن والرفاهية في جميع أرجاء الدولة لتصبح للدولة العثمانية بعد ذلك سمعتها الذهبية فيما يخص الصناعة وكانت الصناعة تنقسم إلى الصناعة الثقيلة والخفيفة.[2]

**3- الوضع الاجتماعي:**

لقد نشأ المجتمع العثماني نشأة قبلية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى باعتبار أن العثمانيين في بدايتهم انتهجوا سياسة الغزو والجهاد في أغلب مناطق الأناضول ،وبهذا انتقل المجتمع العثماني من مرحلة التنقل والترحال إلى مرحلة التحضر والاستقرار، لتبدأ بعدها مرحلة التوسع نحو ربوع العالم، هذا جعلها خليط من الأجناس والأعراق المختلفة من العادات والتقاليد حيث أصبحت الدولة العثمانية خلال عصرنا خلال عصر الذهبي 16/10م دولة عالمية متطورة في شتى المجالات الحضارية والاجتماعية .

حيث صنّف خليل إيناجيك المجتمع العثماني إلى الطبقتين رئيسية الطبقة العسكرية، نظم الطبقة الإدارية أو العسكرية التي كان أفرادها محولون بصلاحيات تنفيذية وصلاحيات سيئة استنادا إلى براءة سلطانية بالتخويل والصنف الآخر يتمثل في الرعية الذي يدفعون الضريبة من غير المشاركين في الحكومة من المسلمين وغير المسلمين[3]،كما قسم العلماء المجتمع العثماني في عصر الازدهار والقوة إلى تراث فئات وهي الطبقة

[1]- بيتر شرح،أوروبا العثمانية، 1454م -1804م، في أصول الصراع العربي في الصرب واليوسنة، تر، عامر الدوسقي، ط1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1998م ،ص91 .

[2] - عدنان العطار ،صفحات من التاريخ الإسلامي ،تاريخ ولرجال للناشئة ،الدولة العثمانية من الميلاد ،السقوط ط 1 ،دار الأصالة ،بئر تونة ،الجزائر ،1431هـ - 2010م ،ص 201 .

[3] - خليل اينالجيك، المرجع السابق، ص 61 .

الراقية وهم الحائزون على السلطة السياسية والطبقة المتوسطة وهم التجار ،وأهم الحرف الصناعية والطبقة الأدنى وهو الرعية .[1]

وكما سبق ذكره في أغلب التصنيفات التي صنفت المجتمع العثماني قد قسمته إلى فئتين كثيرين هما أساس النظام والسلم في المجتمع ويعتقد أنهما العامل الضروري للمسيرة السليمة في الحياة الاجتماعية ،وهي فئة حاكمة تشمل فئات متباينة في الموقع والدرجات الاجتماعية ،تمتد من السلطان في ذروة الهرم الاجتماعي إلى الخادم الذي يعمل أجيرا في وقف من الأوقاف ،أما الرعية وهو القسم الباقي خارج الطبقة العسكرية ،وبالتالي فهم لا يشاركون في الحكم والإدارة ويشكلون الطبقة الثانية في المجتمع العثماني .

[1] – أحمد آق كوندوز ،أوزتوك سعيد ،الدولة العثمانية المجهولة ،303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية ،د ط ،وقف ،البحوث العثمانية ،أتراك السعودية ،2008 ،ص 541 .

## المبحث الأول: التعريف بشخصية الأقحصاري وكتاب أصول الحكم في نظام العالم

### المطلب الأول: التعريف بحسان كافي

**01 /اسمه ولقبه:**

هو حسان بن طورخان [1] [2]،بن يعقوب الزيبي ،العالم الجليل والفاضل النبيل الباصر بمسائل الفقه ،وشاعرا أديبا فكان فخر بلاده ورئيس علمائها [3]،واشتهر بالكافي ،وهناك رأيان حول السبب الذي جعله يشتهر بهذا اللقب الرأي الأول أن سببه هو ما قام به من شرح لكافية ابن الحاجب ،والرأي الثاني ،مرتبة من العلم تبوأها فاستحق إطلاق هذا اللقب عليه .[4]

**نسبته :**

ينسب تارة إلى بلدة ذئب التي ولد ولكنه أكثر اشتهارا بنسبه إلى مدينة أقحصار * [5]وينسب تارة أخرى إلى البوسنة * من قضاء أقحصار [6]وقال الأقحصاري عن مولد جده يعقوب في جانب إسكندرية الرومية ثم ارتحل إلى قرية ذيب ،بناحية أقحصار وهو نصراني ،ثم هداه الله العزيز الغفار ،فأسلم عند مجيء أبي الفتح السلطان محمد خان لفتح

---

[1] – حسن بن طورخان ،نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء ،حسان محمد سعيد شلبي ،محمد ،المخطوطات العربية ،1441هـ /2020م ،ص 12 .

[2] – حسن كافي الأقحصاري ،أصول الحكم في نظام العالم ،تحقيق نوفان رجا الحموي ،منشورات الجامعة الأردنية ،عمان 1918 م ،ص 5 .

[3] – محمد بن محمد البوسني الخانجي ،الجوهر الأسنى في تراجع علماء وشعراء بوسنة ،تح عبد الفتاح محمد الحلو ،ط 1 ،هجر للطباعة والنشر والتوزيع ،الجيزة ،1413هـ – 1992 ،ص 10 .

[4] – حسن كافي الأقحصاري ،شرح سيمت الأصول إلى علم الوصول ،تح محمد دبدوب ،د ط ،د د ن ،1412 هـ ،ص 12 .

[5] – حسن كافي ،المرجع السابق ،ص 11 .

* أقحصار :كلمة تركبة معناه المدينة معناه المدينة البيضاء للمزيد انظر ،خير الدين الزركلي ،الإعلام قاموس الإعلام ، ج6 ،ط 15 ،دار الملايين ،بيروت لبنان ،2002 ،ص 51 .

[6] – حسن كافي ،أصول الحكم ،المصدر السابق ،ص 05 .

ديار أقحصار [1]،حيث جده أسلم 1463م أي بعد الفتح بيد السلطان محمد الفاتح. وعاش والده 76 سنة وتوفي بأقحصار [2] .

**ثالثا: ظروف مولده:**

حدد الاقحصاري تاريخ ميلاده باليوم والشهر فقال سمعت من والدتي المرحومة أن هذا العبد الضعيف ولد بأمر من الله اللطيف يوم الجمعة بعد العصر في رمضان سنة إحدى وخمسين وتسعمائة في زمان السلطان العادل سليمان * خان بن السلطان سليم *[3]،حيث ولد في بلدة أقحصار[4] بقلعة بروساك في النصف الأول من القرن العاشر الهجري ،السادس عشر ميلادي [5] (951هـ / 1544م) [6]،حيث تربى المؤلف في العصر العصر الذهبي من عصور العثمانيين ،ويعتبر عصر السلطان سليمان خان (1520 – 1566) من أزهى عصور العثمانيين وفاق العثمانيين شتى الدول الأوروبية عسكريا وإداريا وسياسيا ،قاد السلطان سليمان القانوني الحرب بثلاث عشرة حملة فوسع حدود السلطنة ،دون القوانين والشرائع وكانت أيامه عهد بني عثمان الذهبي . [7]

---

[1] – حسن كافي ،نظام العلماء ،المصدر السابق ،ص 13 .

[2] – حسن كافي ،أزهار الروضات في شرح روضات الجنات ،تح علي ضيائي ،د ط ،الجامعة الإسلامية العلمية بماليزيا للنشر ،ص 12 .

[3] – حسن كافي ، شرح سيمت الأصول إلى علم الوصول ،المصدر السابق ،ص 05 .

[4] – خير الدين الزركلي ،الأعلام قاموس التراجع ،ج 2 ،ط 15 ،دار العلم للملايين ،بيروت لبنان 2002 ، ص 194 . .

[5] – حسن كافي ،أصول الحكم ،المصدر السابق ،ص 05 .

[6] – حسن بن طورخان ،نظام العلماء ، المصدر السابق ،ص 12 .

[7] – موفق بني المرجة ،صحوة الرجل المريض ،د ط ،مطابع دار الكويت للصحافة ،الكويت 1984 ،ص 41 – 42 .

* سليمان :ولد سنة 1495 وهو عاشر ملوك آل عثمان ،وولد في مدينة طرابزون ،ونشأ محبا للعلم والأدب ،ارتقى عرش السلطنة في السادس والعشرين أنظر محمد فريديك المحامي ،تاريخ الدولة العثمانية ،تح إحسان حقي ،دار النفائس ،ط 1 ،بيروت 1401 هـ ، 1981 م ،ص 198 .

* سليم :تولى الحكم في 9 ربيع الأول سنة 974 هـ ولم يكن مؤهلا لحفظ فتوحات والده السلطان سليمان أنظر ،علي محمد الصلابي ،الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ،ط 1 ،دار التوزيع والنشر الإسلامية ،مصر 1421 هـ – 2001م ،ص 200 .

**رابعا: سيرته العلمية :**

بدأ في طلب العلم وهو في سن الثاني عشر ولكنه لم يتحدث عن المعارف التي كانت تدرس آنذاك [1]،ومن المحتمل أنه كسائر أطفال المسلمين ،تعلم القرآن وحفظ الحديث وبعض أساسيات الدين الإسلامي في إحدى المكتبات المحلية التابعة للمساجد ،كما التحق بإحدى المدارس في بلده آنذاك ،حيث كانت توجد 3 مدارس في البوسنة * في تلك الفترة وهي مدرسة فيروز بك التي أنشئت حوالي سنة **1512** ومدرسة خسروبك التي تأسست سنة **1540** [2]،ولما تيسر له تحصيل مباني العلوم في بلاده ارتحل إلى القسطنطينية في أوائل سلطنة السلطان سليم خان **(1566 – 1574)** ،ابن السلطان سليمان خان [3]،وسافر إلى اسطنبول بعد سنة ( 974هـ / 1566م ) لأن السلطان سليم الثاني تولى عرش الخلافة في تلك السنة وحينها كان عمر حسن الكافي 22 سنة ،وكانت عاصمة الخلافة العثمانية مركزا مهما للعلم والثقافة ،وكان يشد إليها الرحال كثير من أنباء البلقان لتعلم العلوم الدينية والفنون الإسلامية ،وما كان يستثنى حسن كافي من هذه القاعدة لأنه بعدما حصل على بعض العلوم والمبادئ في بلده ارتحل إلى اسطنبول .[4]

والتحق بإحدى مدارسها ،والتزم ببعض الشيوخ هناك حتى حصل على إجازة التدريس منهم [5]،وقد اتفق المؤرخون على أن عظمة الدولة العثمانية قد انتهت بوفاة السلطان العثماني القانوني عام 974هـ / 1566م وبدأ الخط البياني للخلافة العثمانية بالهبوط باستمرار ،وإن كان يتوقف عن الهبوط ويسير مستويا في بعض المراحل لقوة

---

[1] – حسن كافي، شرح سيمت الأصول إلى علم الوصول، المصدر السابق، ص 15 .

[2] – حسن كافي، أزهار الروضات ، المصدر السابق ،ص 14 .

[3] – حسن كافي ،نظام العلماء ،المصدر السابق ،ص 30 .

[4] – حسن كافي، شرح سيمت الأصول إلى علم الوصول، المصدر السابق ،ص 15 .

* البوسنة :هي بلاد واسعة واقعة في الشمال الغربي من شبه جزيرة البلقان سميت باسم نهر يجري فيها ،أنظر محمد بن محمد ،البوسني الخانجي ،الجوهر الأنسى ،ص 10 .

[5] – حسن كافي ، شرح سيمت الأصول إلى علم الوصول ، المصدر السابق ،ص 15 .

بعض الخلفاء ،وخاصة الصدر الأعظم [1]،ولم يكن السلطان سليم منصفا بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلا عن لإضافة شيء إليها ،ولولا وجود الوزير الطويل محمد باشا صوقللي المدرب على الأعمال الحربية والسياسية للحق الدولة الفشل ،لكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهابتها في قلوب أعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة[2]، وكان من الأسباب المؤدية إلى ضعف السلطنة العثمانية شيوع استعمال الخمر بين عساكر السلطان أيام السلطان سليم خان حيث أفرد فيه الجنود خصوصا الانكشارية * ،فثار الانكشارية لذلك اضطره لإباحته لهم بمقدار لا يترتب منه ذهول العقل [3]،وجدد السلطان سليم الامتيازات القنصلية مع فرنسا ،وزاد عليها امتيازات أخرى ،وبذلك صارت فرنسا ملكة التجارة في البحر الأبيض المتوسط وجميع البلاد التابعة للدولة وأرسلت تحت ظل هذه إلى كافة بلاد الدولة الموجودة بها مسيحيون لتعليم أولادهم وتربيتهم على محبة فرنسا ،وكانت هذه الامتيازات الموجبة لضعف الدولة بسبب تداخل القناصل في الإجراءات الداخلية بدعوى رفع المظالم المعاهدات عدة إرساليات دينية كاثوليكية إلى كافة بلاد التابعة للدولة ،وأرسلت تحت ظل هذه المعاهدات عدة إرساليات عن المسيحيين .[4]

هذه الحوادث والوقائع التي حدثت في أيام سلطنة السلطان سليم خان أثرت تأثيرا مباشرا في تكوين شخصية المؤلف. وضعف الدولة العثمانية قد أدى انشغال بعض العلماء تأليف كتب عن السياسة الشرعية ،الأمر الذي لم يشغل بال الكثيرين من المفكرين الإسلاميين ،وقد تداول البحث بين العلماء آنذاك عن الأسباب المؤدية إلى ضعف الدولة للقيام بمهامها السياسية والدينية ،وقد عاش هذا المؤلف هذه الأجواء وكان يدرس عن كتب الحوادث والوقائع، والثورات المختلفة في عهد السلطان سليم خان ،والمواضع التي تطرق

---

[1] – إسماعيل أحمد ياغي ،الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ،المرجع السابق ، 95 .

[2] – محمد فريد بك ،الدولة العثمانية ،المصدر السابق ، ص 19 .

* الانكشارية :كلمة من مقطعين بني تعني الجديد ،جرى تعني العسكر أي العسكر الجديد أنظر ،سهيل صابان ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ،نشر مكتبة فهد ،الوطنية ، 2000 ،ص 47 .

[3] – محمد فريد بك ،الدولة العثمانية ،المصدر السابق ، ص 113 .

[4] – فريد بك ،الدولة العلية ، المصدر السابق ، ص 109 – 110 .

إليها المؤلف في كتاب الحكم في نظام العالم، كما اهتم بالعلوم الدينية المختلفة مثل علوم القرآن والفقه وأصوله ،والنحو والكلام والأدب، فقد درس باهتمام بالغ الأوضاع السياسية السائدة في عاصمة الخلافة العثمانية .[1] فبقي الاقحصاري في اسطنبول حوالي 9 سنوات ورجع إلى أقحصار وعمره في حدود 32 سنة [2]،كما ذكر الباحث زهدي عادلوفتيش أن حسن كافي تتلمذ على يد أبي المعلي بالي بن يوسف المفتي لديار البوسنة بعد رجوعه من اسطنبول ،صار ملازما للمفتي وأخيرا أجيز بالقضاء سنة 987 هـ ،ولكن حسن كافي ذكر شيخه بالي بن يوسف ضمن الشيوخ الذي تتلمذ عندهم عندما كان في اسطنبول وأصبح قاضي أقحصار (991 هـ – 1583م ) [3]،وبعد استفادته استفادة عظيمة من بحار علوم شيوخه ولما نال حظا وافرا من العلم ،عاد إلى بلده أقحصار (983 هـ – 1575 م ) فعكف على التدريس واشتغل قاضيا بأقحصار ،وفي أثناء الدرس والقضاء شرع في تأليف العديد من الكتب المتنوعة فرجوعه إلى أقحصار كان بعد سنة من جلوس السلطان مراد * خان الثالث (982 – 1003هـ / 1574 – 1594 م) العرش وكانت فاتحة أعماله أنه أصدر أمرا بعدم شرب الخمر الذي شاع استعماله أيام السلطان السابق [4]،وكان الملك يميل إلى التصوف [5]،وعندما كثرت الفتوحات العثمانية احتاجت الحكومة إلى بعض النخب لكي يقوموا بأمور الحكومة ،وكان حسن كافي مؤهلا للقيام بأمر القضاء وعيّن قاضيا في ولاية سريم .

يعتبر الأقحصاري من العلماء الذين شاركوا في المجالات الدينية مشاركة فعالة وخاصة في بلده حيث الغالب عدم وجود مجموعة كبيرة من العلماء وربما كان هذا من الأسباب التي جعلت منه قاضيا ومعلما ومؤلفا في نفس الوقت [6]، حيث تولى منصب

[1] – حسن كافي، روضات الجنات، المصدر السابق ، ص 11 – 17 .

[2] – حسن كافي، نظام العلماء، المصدر السابق، ص 31 .

[3] – حسن كافي، روضات الجنات ، المصدر السابق ، ص 17 .

[4] – فريد بك، الدولة العلية، المصدر السابق، ص 113 .

[5] – الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ،المرجع السابق ، ص 319 .

[6] – حسن كافي، شرح سيمت الأصول إلى علم الوصول، المصدر السابق، ص17 .

القضاء عدة مرات وتنقل أثناء وظيفته في أنحاء مختلفة إلى أن استقر به المقام في مسقط رأسه بروساك وفي سنة 1592م، توجه لأداء فريضة الحج وكانت مناسبة لتبادل الحديث مع علماء من القدس ودمشق ومكة المكرمة والمدينة المنورة واسطنبول عن الأوضاع الصعبة التي تمر بها الدولة العثمانية وخاصة الوضع الاقتصادي[1] .

**رابعا : مؤلفاته**

لقد أتاحت للأقحصاري أسفاره المتواصلة الالتقاء بمجموعة من العلماء المتخصصين فيشتى العلوم الإسلامية، وقد وصفه أحد معاصريه بأن كتب كتبا كثيرة في فنون مختلفة ، وأن رسائله [2] الصغيرة التي تتناول بعض المسائل المختلفة لا تعد ولا تحصى ،حيث ألف في اللغة والأدب والشعر والفقه وعلم الكلام، وقد دوّن معظم أعماله باللغة العربية ،وقليل منها باللغتين التركية والفارسية ومع ذلك فهو غير معروف عند مؤرخي الأدب العربي أو كتاب التراجم والسير، وأكثر أعماله شهرة كتابه **<< أصول الحكم في نظام العالم >>** ومؤلفات الأقحصاري متفرقة في مكتبات العالم المختلفة [3]، وأعماله هي :

- مختصر الكافي في المنطق ألفه سنة 988 هـ [4] وتوجد نسخة مخطوطة في معهد الدراسات الشرقية في سراييفو تحت رقم 591
- سيمت الوصول إلى علم الأصول[5] ومنه نسختان في مكتبة الأزهر
- روضات الجنان في أصول الاعتقادات وقد طبع في اسطنبول سنة 1305 [6].

ومن مؤلفاته المهمة والتي هي موضوع بحثنا كتاب **أصول الحكم في نظام العالم،** وحظي هذا الكتاب باهتمام بالغ وترجمه بالتركية في رجب 1050هـ [7].

---

[1] – حسن كافي ،أصول الحكم ،المصدر السابق ،ص 05 .

[2]– حسن كافي ، شرح سيمت الأصول إلى علم الوصول ، المصدر السابق ،ص21.

[3]– حسن كافي ،أصول الحكم ،المصدر السابق ،ص 05 .

[4] – عمر رضا لكحالة، معجم المؤلفين، جزء 03، مكتبة المتنى، د ط، بيروت ،ص233 .

[5]– حسن كافي ، شرح سيمت الأصول إلى علم الوصول ، المصدر السابق ،ص21 .

[6]– حاجي خليفة، كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون، ج2 ،دار الحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان، ص182 .

[7]– حاجي خليفة، المصدر السابق ،ج1، ص113 .

• نور اليقين في أصول الدين وهو شرح للعقيدة الطحاوية وهذا الكتاب موجود الآن في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض للمناقشة بعد تحقيق من قبل أحد الطلاب اليوغسلافية .

• تمحيص التلخيص في المعاني والبيان والبديع نقح فيه تلخيص الخطيب للقزويني، وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتب معهد الدراسات الشرقية بسرايفوا برقم 1689 [1].

وأورد بروكلمان في كتابه << تاريخ الأدب العربي >> قائمة أخرى من مؤلفات الأقحصاري أيضا :

1- شرح الكافية .

2- شرح قدوري .

3- شرح عقيدة الطحاوي .

4- شرح على مقدمة الصلاة .

5- سمط الأصول في علم الأصول .

6- متن شرح المعاني .

7- أكري ملحمة سي تاريخجه سي [2].

**شيوخه وتلامذته :**

مما لاشك فيه أن رحلات الأقحصاري أتاحت له لقاءات كثيرة من العلماء في مختلف البلاد التي قدم إليها [3]،ومن بينهم حاجي أفندي المعروف بقوه ميلان، أو معيد كمال باشا زاده 983 هـ، وملا أحمد الأنصاري وبالي بن يوسف الشهير بمعلم الوزير الكبير وآخى شيوخه مير عصتفر بن جعفر الحسني .[4]

[1] – حسن كافي ، شرح سيمت الأصول إلى علم الوصول ، المصدر السابق ،ص22 .

[2] – حسن كافي ،أصول الحكم في نظام العالم ،المصدر السابق ،ص 07.

[3] – حسن كافي ،سيمت الأصول إلى علم الوصول ، المصدر السابق ،ص 35 .

[4] – حسن بن طورخان ،نظام العلماء ، المصدر السابق ،ص 14 .

أما تلاميذه فإن الأقحصاري درس وعلم في كثير من المناطق داخل الدولة العثمانية وفي بلده ،وممن اشتهر من هؤلاء الطلبة وكان له مكانة علمية نجد :

- القاضي علاء الدين بن علي بن مصطفى بن حسام الدين الشهير شيخي زاده ،وأصله من أقحصار [1]
- القاضي محمد بن أحمد بن سيف الدين الشهير (بآغا زاده )
- محمد بن حسن الخطيب والإمام المعروف بملا أحمد [2] كان هؤلاء من أبرز تلامذته .

**المطلب الثاني: التعريف بالكتاب**

**أولا: الوصف الخارجي للكتاب**

الاسم الكامل للمؤلف: حسن كافي الاقحصاري

عنوان الكتاب: هذا الكتاب اسمه أصول الحكم في نظام العالم ويحتوي على 58 صفحة

دار ومكان النشر: منشورات الجامعة الأردنية

أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كتابه

القرآن الكريم

ابن الأثير عز الدين ،الكامل في التاريخ

حاجي خليفة ،مصطفى بن عبد الله ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون المحبي محمد أمين، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر

علوان الحموي ،علي بن عطية بن الحسن ،النصائح المهمة للملوك والأمة ويحتوي هذا الكتاب على أربعة أصول وهي:

1) الأصل الأول : في سبب نظام السلطنة وامتدادها
2) الأصل الثاني :بالمشاورة والاستخارة والرأي والتدبير

[1] – حسن كافي ،سيمت الأصول إلى علم الوصول ، المصدر السابق ،ص 37 .

[2] – محمد بن محمد البوسني ،المصدر السابق ،ص 120 – 121 .

3) الأصل الثالث :في جوب استعمال آلات الحرب والقتال وتدبير العسكر وتحريضهم .

4) الأصل الرابع: في أسباب الظفر والعون من الله تعإلى وموجبات الهزيمة أعاذنا الله.

**ثانيا: الوصف الداخلي للكتاب :**

يتحدث هذا الكتاب عن الحوادث والوقائع والثورات المختلفة في عهد السلطان سليم خان، حيث وقعت بعض الأحداث على حدود البوسنة ودارت الحرب بين العثمانيين والمجر عام 1002 هـ / 1593م ،واستمرت أربعة عشر عاما ومما أوقع العثمانيين في موقف محرج خروج البعدان والأفلاق وأردل بانضمام إلى صفوف العدم .[1]

الأمر الذي أشار إليه المؤلف في ترجمته ،وهذه الحالة قد أثرت تأثيرا في الحالة الثقافية والاجتماعية في البوسنة ،مما أدى بحسن كافي ترك القضاء والالتجاء إلى بلدته خوفا من الخوض في الفتن ويقول في كتابه الذي بين أيدينا أصول الحكم في نظام العالم، وإذا جلس السلطان مكان العدو بالقهر لا يتركهم أمراء ،لأن التعصب لا يخرج من قلوبهم قد شاهدناه في هذا التاريخ سنة 1003 من أمراء ولاية بغدان وقرة أفلاق وأردل[2]، ويرجع سبب تأليف هذا الكتاب إلى عاملين هما :

**01)** الإهمال في العدالة والضبط بحسن السياسة وسببه عدم تفويض الأمور إلى أهاليها

**02)** المسامحة في المشاورة والرأي والتدبير وسببه عدم خوف العسكر من الأمراء.[3]

أيضا نجد ضعف العسكر البوسني في مقابلة عساكر النمسا في منطقة سياك وعندما لاحظ الأقحصاري ضعف الدولة، بدأ يبحث عن علله وقد طال هذا البحث أكثر من عشر سنوات، وهذا أن المؤلف قد شاهد عوامل الضعف والسقوط في عصر السلطان مراد

[1] – كمال الدين ،حسان أوغلي ،الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،تر صالح سعداوي ،د ط ،مركز الأبحاث ،اسطنبول تركيا 1999 ،ص 47 .

[2] – حسن كافي ،روضات الجنات ، المصدر السابق ،24 .

[3] – حسن كافي ،أصول الحكم في نظام العالم ،المصدر السابق ،ص 09.

الثالث ويؤيده فريد بك بأن عدم خروج السلطان بنفسه إلى الحرب وتحجبه عن أعين جيوشه وعدم قيادته بذاته أدى إلى ضعف الدولة لأن وجود السلطان في رأس جيوشه يبث فيهم روحا جديدة ،فيجدون معه قلبا وقالبا ويسيرون معه إلى النصر.[1]

ويشرح أيضا في كتابه عن ضعف السلطان في استعراض الجنود وتأثيره السيئ في أنصار حدود البوسنة ،وقد اشتعلت الحروب في كثير من أراضي السلطنة وأجبر كثيرا من الرعايا بالقيام على وظائف العسكر ،والضغوط الأوروبية وتمرد الانكشارية في زمن المؤلف أدى إلى حل الأمور بالسيف من قبل العثمانيين ،وفي البداية كان الإيمان هو الأقوى وهو المحرك وحل محل الإيمان بالسيف ،وأصبح السلطان يقتل أقرب الناس إليه، وكما يظهر أن السلطان العثماني لم يهتم بعلماء عصره كما اهتم به السلاطين السابقين، وقد أحرزت الانكشارية انتصارات عظيمة ،وأعطيت لهم امتيازات وقدمت لهم إقطاعات فمالوا إلى حياة الراحة، وبدأت علامات الضعف تظهر على الجيش، فلما قوي أمر الانكشارية أصبحوا لا يخرجون للقتال إلى إذا خرج السلطان معهم ،وكانت هذه بداية التمرد [2] وصاروا يتدخلون في اختيار السلطان وفي شؤون الحكم ،وأدى ذلك إلى تحول الانكشارية إلى شغب وفوضى بعد أن توقفت الفتوحات [3]،وأشار حسن كافي إلى طغيان العساكر بقوله :" وقد بدأ البغي في ديار الروم بين عساكر المسلمين منذ ثلاث سنين ،فإن كثيرا منهم طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد بهتك أعراض المسلمين ونهب أموالهم والتعرض لنسائهم وأولادهم [4]....

وحسب تعبير المؤلف انتشار الرشوة يعتبر من لأهم أسباب ضعف الدولة فقد ترك السلاطين أمور الدولة لكبار موظفيهم الذين انغمسوا في الفساد، فانتشرت الرشوة والاختلاس وبيع المناصب ،وأصبحت ترقية القادة ليس بحسب الكفاءة الشخصية ،بل

[1] – فريد بك ،المصدر السابق ، ص 316 .

[2] – حسن كافي ،روضات الجنات ، المصدر السابق ،ص 27 .

[3] – ياغي ،الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ،ص 94 – 95 .

[4] – حسن كافي ،أصول الحكم في نظام العالم ،ص 10.

بحسب ما يبذلونه من الرشوة للولاة [1]،وعلى أي حال فإن كتاب " أصول الحكم في نظام العالم "يعد من أهم الكتب التي تطرقت إلى مفهوم السياسة الشرعية .

**نقد وتقييم:**

لقد لقي كتاب أصول الحكم في نظام العالمة اهتماما بالغم من طرف الباحثين ،كما ترجم الكتاب أيضا إلى اللغتين الألمانية والفرنسية ،كما ذكر حاجي حليفة أي حسن كافي الأقحصاري قد وضع كتابه هذا في السنة التي شهدت موقعة أكري الشهيرة سنة 1595 ،حيث كان أحد المشاركين وشاهد عن كتب أحوال الجيش العثماني [2]،ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي تطرقت إلى مفهوم السياسة الشرعية ،وقد سادت فكرة قسم العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب في بعض الكتب التي ألفت في هذه الفترة ،ولاشك أن موقع البوسنة كمنطقة حدودية بين العالمين المتصارعين ،عززت في البوسنة بدورهم في رصد هذه الأحداث ومن بينهم الأقحصاري ،حيث اهتم به الكثير من الباحثين الإسلاميين والمستشرقين ومن جهة أخرى أن المؤلف كان أحد أنصار الدولة العثمانية قام بنقد علمي وموضوعي للدولة .

وفي الحقيقة ما قام به المؤلف كان عملا رساليا جهاديا استهدف الأمراء والولاة العثمانيين لإصلاح الحكومة ،وكان متفانيا في خدمة الدين وملتزما بدوره كعالم من العلماء في البحث والخطابة والكتابة ،ولم يجد مكانا للأترواء في حياته على الرغم من مكانته لدى الدولة العثمانية .

نستطيع القول إن هذا الكتاب يتميز عن غيره من المصادر التي أرخت للدولة العثمانية بثلاث ميزات هامة هي:

**1-** تحديد العوامل والأسباب التي أدت إلى تردي الأوضاع الداخلية والخارجية للدولة العثمانية ابتداء من سنة 994هـ / 1585م وحتى سنة 1004 هـ/1595م .

[1] – بني المرجة ،صحوة الرجل المريض ،المصدر السابق ،ص 44 .

[2] – حسن كافي ،أصول الحكم في نظام العالم ،ص 07.

**2**- انفراده في تحديد الأصناف (الفئات) التي يتكون منها المجتمع الإسلامي في ظل الدولة العثمانية.

**3**- اهتمام المؤلف بمؤسسات الدولة كالشورى والسلطنة والجيش ،ومن المآخذ على هذا الكتاب أنه لم يوضح بالتفصيل ما اعتبره سبب جميع الأسباب وهو تدخل النساء واستشارهن بالسلطة والرشوة بين كبار رجال الدولة، وأن أشار بشكل يسير إلى انتشار الرشوة واستفحالها، والكتاب يعتبر بحق وثيقة تاريخية نادرة .

# المبحث الثاني:

# سياسة الفتوح العثمانية

## المبحث الثاني :سياسة الفتوح العثمانية

### المطلب الأول:الفتوحات في عهد السلطان سليم الثاني 973-982هـ-1566-1574م

عاش الأقحصاري في عصر السلطان سليم الثاني (ابن السلطان) سليمان القانوني [1] حيث خلف هذا الأخير أباه سليمان الأول ،حيث لم يكن ذو كفاءة لمواصلة سياسة التوسعية[2] لولا وجود الوزير محمد باشا صقللي المدرب على الأعمال الحربية والسياسية للحق الفشل بالدولة [3] ،فقد واجه سليم الثاني في بداية حياته السياسية قضية تمرد الانكشارية الذين طلبوا منه أن يوزع عليهم العطايا فأبى ذلك وهذا ما أدى بهم إلى إعلان العصيان [4]،وهكذا ظهر سليم الثاني في وضع العاجز في أول مشكلة يتعرض لها أمام جند الباب الذين لم يجرؤوا على التطاول على سلطة الدولة ونفوذ السلطان لسنوات طويلة[5] لكن حسنت سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة وحفظها من السقوط مرة واحدة فتم الصلح بينهما وبين النمسا بمعاهدة بتاريخ 17 سنة 1568م ،ومن شروطها حفظ النمسا أملاكها في بلاد المجرد ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السابقة .

واعترافها بتبعية أمراء ترانسلفانيا والفلاخ والبغدان إلى الدولة العلية وتجددت أيضا الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف الباب بالتحالف الذي حصل ما بين ملك بولونيا وأمير البغدان، وكذلك جددت مع شارل التاسع ملك فرنسا سنة 1568 الاتفاقيات التي تمت بين الدولتين في عصر السلطان سليمان، وأيد السلطان سليم الامتيازات القنصلية وزاد عليها امتيازات أخرى أهمها ،معافاة كل فرنساوي من دفع الخراج الشخصي وأن يكون للقناصل الحق في البحث عمن يكون عند العثمانيين من الفرنساويين في حالة الرق وإطلاق

---

[1] – حسن بن طورخان ،نظام العلماء ، المصدر السابق ،ص 14 .

[2] – محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين ،ط 3 ،دار النفائس للنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،1434 هـ -2013م ،ص 231 .

[3] – فريد بك، المصدر السابق، ص 253 .

[4] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ،ص 231 .

[5] – سعيد ،محمد السيد محمود ،تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار ،ط 1 ،مكتبة الآداب ،القاهرة ،مصر ،2007 ،ص 297 .

سراحهم والبحث عمن أخدهم بصفة رقيق لمجازاته، وأن يرد السلطان كافة الأشياء التي تأخذها قراصنة البحر من المراكب الفرنسية ومعاقبة الآخذ لها وأن تكون المراكب العثمانية ملزمة بمساعدة ما يرتطم من السفن الفرنسيين على شواطئ الدولة ويحفظ ما بها من الرجال والمتاع وأن يكون لفرنسا كل الامتيازات الممنوحة لجمهورية البنادقة [1]،ومن أبرز الرجال الذين تلقوا استحسان في عهد القانوني الوزير محمد صوقللي وهو سلافي الأصل ينتمي إلى الهرسك الذي مارس السلطة على سليم بدرجة تكفي لإيقاف ازدياد الفوضى ،وحافظ على روح العظمة في التخطيط والحيوية في التنفيذ مما تميز به الباب العالي حتى ذلك الوقت [2]،ومن أعماله أنه أرسل جيشا عظيما إلى بلاد اليمن في سنة 1568 [3] ،تحت قيادة عثمان باشا الذين عين عاملا عليها لقمع ثورة أهاليها الذين عصوا الدولة إتباعا لأمر سلطانهم الشريف مطهر بن شرف الدين يحي فانتصر عثمان عليهم الذين عين عاملا عليها لقمع ثورة أهاليها بمساعدة سنان باشا والي مصر ودخلت الجيوش المظفرة بمدينة صنعاء بعد أن فتحت جميع القلاع [4]،وأيضا أوقف الحرب مع النمسا سنة 1568م ،وأرسل حملة إلى أسترخان 1568م واستولى على جزيرة قبرص سنة 1570م[5] وكان هذا الفتح أكبر نصر للجيش العثماني ،وعند فتح هذه الجزيرة المحصنة للغاية أن تم قطع الاتصال بينها وبين أقوى أسطول مسيحي في المتوسط ،وأن يتم إنزال جيش كبير قادر على الصمود فيها ،وهكذا فقد جاء هذا النصر ،الذي تم بفضل التعاون بين القوات البرية والبحرية ،كأعظم إنجاز للأسلحة العثمانية ولهذا السبب جاء تأسيس

[1] – فريد بك ،الدولة العلية ،المصدر السابق ، ص 254 .

[2] – أحمد عبد الرحيم مصطفى ،أصول التاريخ العثماني ، ط2 ،دار الشروق ،بيروت ،1406هـ – 1986م ،ص 146.

[3] – فريد بك ،الدولة العلية ،المصدر السابق ، ص 255 .

[4] – محمد سهيل طقوش ،تاريخ العثمانيين ،المرجع السابق ،ص 235 .

[5] – أحمد عبد الرحيم مصطفى ،أصول التاريخ العثماني ، المرجع السابق ،ص 144 .

التحالف المسيحي أثناء هذه الحملة ليعكس المخاوف المتزايدة من العثمانيين [1]،وكان أمراء قبرص يدفعون الخراج عن الجزيرة لدولة المماليك فلما ضم العثمانيون مصر استمروا في دفع الخراج للدولة وقبرص لم تكن تمثل أي خطر على الدولة خلال عهد القانوني .[2]

إلى أنه في أواخر هذا العهد بدأ قبرص يعتدون على السفن التجارية للدولة وعند علم البنادقة بنية الدولة في إرسال حملة لفتح قبرص ،راحوا يرسلون السفراء إلى الإدارة العثمانية من أجل الرجوع عن قرارها [3]،خرج الأسطول العثماني في عام 1580م – 978 هـ ،تحت امرة بيالي باشا يحمل مائة ألف جندي بقيادة لالا مصطفى باشا لفتح الجزيرة واشتراك في الحملة علي باشا أهانت البندقية النصرانية لمساعدتها فلم يستجيب إلا البابا وملك إسبانيا [4] فليب الثاني وفرسان مالطة إلا أن هذا الأسطول لم يستطع الوصول في الوقت المناسب لإنقاذ قبرص ،حيث شرع في إبراز القوات ومحاصرة قلعة لفقوشه التي سقطت بعد 54 يوم من الحصار ،غير أن حصار مغوصة استمر لمدة عام كامل قبل أن يتم فتحها في أول أغسطس 1571م ،وبعد فتح الجزيرة شكلت منها ومن طرطوس وعلائية وإيجل إمارة أمراء عين عليها مظفر باشا كما نقل إليها عدد كبير من سكان إمارات قونية وقره مان ونكيده وقيصري وفقا للأعراف العثمانية القديمة .[5]

**معركة ليبانتو 1571م :**

تعد معركة ليبانت 1571م من أبرز المواجهات العسكرية البحرية التي شهدها البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي بين العثمانيين والقوى الأوروبية المسيحية، ولم تكن هذه المعركة مجرد حادثا عفويا نتج عن التحام أسطولين عن طريق الصدفة، وهنا نرى تحول اهتمام الدولة من البحر الأسود إلى المتوسط وكانت

[1] – خليل إينالجيك ،تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ،تر ،محمد الأرناؤوط ،ط 2 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، 2014م ،ص 67 .

[2] – محمود محمد السيد، تاريخ الدولة العثمانية ، المرجع السابق ،ص 303 .

[3] – نفسه، ص 303 .

[4] – سهيل طقوش ، المرجع السابق، ص 236 .

[5] – سيد محمد، المرجع السابق، ص 303 .

السياسة الجديدة تتضمن معلومة الاهتمام بالبحر الأحمر والمحيط الهندي[1]، ويبدو أن الظروف السياسية كانت تحث العصبية على العمل السريع ،فالعثمانيون فتحوا جزيرة قبرص، وغزت مراكبهم جزيرة كريت وزانطة وفتحت جيوشهم مدينتي دلسيو وانتياري الواقعتين على البحر الأدرياتيكي[2]،إذ بعدها تمكن العثمانيون من فتح بعض جزر المتوسط وفتح جزيرة قبرص 1570م ،قام البابا بيوس الخامس نشاط كبير من أجل توحيد أوروبا ضد المسلمين ،وتزامن ظهور هده الشخصية مع وفاة أبرز سلاطين الدولة العثمانية سليمان 1566م ،فأرسل نداء إلى القوى الأوروبية يدعوهم إلى التحالف لمواجهة العثمانيين وأرسل إلى ملك فرنسا يد العون ،إلا أن شارل التاسع لرفض لأنه كانت تربطه معاهدات مع العثمانيين ولم تمض سوى أيام قليلة حتى قام الإمبراطور بنقض عهوده التي أبرمت مع العثمانيين.[3]

أسفرت جهود البابا وتحركاته في لم شمل الدول الأوروبية من أجل مساعدة البندقية في المعركة الفاصلة بين المسيحية والإسلام ،فتم التوقيع على الحلف المقدس في 25 ماي 1571م ،فضم كل من إسبانيا وإيطاليا والإمارات الصليبية الخاضعة لسيطرتهم مثل فلورنسه ،بينما أسند قيادة الأسطول المسيحي لدون جوان النمساوي وبدأ تجميع القوات للإيقاع بالعثمانيين والمسلمين وسار إلى البحر الأدرياتيك ،حتى وصل إلى الجزء الضيق من خليج كورنث بالقرب من باتراس .[4]

وفي صيف 1571م كان الأسطول العثماني قد فتّش عن الأسطول الصليبي ولم يعثر عليه ،ومما سبق يمكن القول أن الأسطول العثماني في القرن 16م ،شكل قوة الدولة العثمانية وفرض سيطرته على البحر الأبيض المتوسط ،بفضل تولي السلطنة العثمانية في هذه الفترة سلاطين أقوياء أبرزهم السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني 1529

[1] – أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق ،ص 146 .

[2] – سهيل طقوش ، المرجع السابق ،ص 237 .

[3] – علي حسون ،تاريخ الدولة العثمانية ،ط 3 ،المكتب الإسلامي ،بيروت ،1415 –1992 م،ص 125 .

[4] – محمد علي الصلابي ، المرجع السابق ،ص 208 .

– 1566 ،بالرغم من أن ظهورهم تزامن مع بروز شخصيات مسيحية مشهورة أمثال شارلكان الإسباني وأمير البحر الجنوي أندريا دوريا ،وبالتالي أدى بروز هذه الشخصيات التاريخية من الجانب المسيحي والإسلامي في آن واحد أدى إلى ظهور عدة صدامات عسكرية بحرية ،وقد كان البحر المتوسط ميدانا ومسرحا لها .[1]

وفي 07 أكتوبر 1571م – 979هـ، وبينما كان الأسطول العثماني عائدا إلى ليبانتو بعد فتح قبرص تعرض لهجوم مفاجئ وكبير من قبل أسطول الخلفاء الذي شكله البابا بيوس الخامس، وفي المعركة التي وقعت بين الطرفين في خليج ليبانتو بين المورة وتساليا مني الأسطول العثماني بنكسة مريرة والانتصار الذي حققته أساطيل الحلفاء جعلهم يخططون للهجوم في العالم التالي على قبرص أو على اسطنبول [2]،حيث تمكن الوزير الأعظم صوقللي محمد باشا من حشد كل قوى وقت قياسي ،وشجعت الدول المتحالفة البندقية على استئناف الحرب لكن أحدا من الدول الأوروبية لم يمد لها يد المساعدة وفي الوقت نفسه هاجم الأسطول العثماني في أواخر 1573م، سواحل إيطاليا فدمر كثيرا من القلاع التي تسيطر عليها البندقية ونتيجة لهذا الضغط العسكري فقد صلح بين الطرفين العثماني والبندقي وفي اسطنبول ،تنازلت البندقية بمقتضاه للسلطان العثماني عن جزيرة قبرص ،ودفعت للعثمانيين تعويضا عن الخسائر الناجمة عن الحرب.[3]

[1] – عبد الحق بوديسة ،معركة ليبانت وأثرها على العلاقات في العالم المتوسطي خلال القرن 16م ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،جامعة محمد بوضياف المسيلة ،ص 32 .

[2] – سيد محمد ، المرجع السابق ،ص 304 .

[3] – سهيل طقوش ، المرجع السابق ،ص 238 .

## المطلب الثاني: الفتوحات في عهد السلطان محمد الثالث (1004هـ - 1012هـ / 1566م – 1603م ) :

جاء محمد الثالث من مانيسا وجلس على العرش في اسطنبول [1]وفي أوائل حكمه سار أثر سلفه في عدم الخروج إلى الحرب وترك أموره الداخلية في أيدي وزرائه [2]أمثال سنان باشا وجفالة زادة وحسن باشا، ثم تعاقبت انهزامات الدولة أمام ميخائيل الإفلاقي الذي ضم إقليم البغدان وجزء كبير من ترانسلفانيا [3]،حيث استطاع العثمانيون خلال فترة اللاحرب الطويلة في الأراضي الأوروبية أن يفرضوا وجودهم السياسي هناك دائما فقد تضاعف النفوذ العثماني هناك في أواخر القرن السادس عشر ،وكان الاهتمام موجه نحو الشمال، غير أن النزاع المستمر مع آل هابسبورغ على امتداد الحدود قد هيأ السبل لتطورات تؤدي إلى نشوب الحرب، قد وضعوا على امتداد الحدود نظاما للدفاع ضد العثمانيين، وبذلك شجعوا السلافيين والمجر على الاستيطان على حدود البوسنة وخاصة في منطقة الأدرياتيك، وأقاموا هناك خطا دفاعيا قويا كما أقاموا في أعالي المجر قلاعا واستحكامات عسكرية جديدة ،وعند وقوع بعض الأحداث على حدود بكلربكيه وعلى حدود البوسنة عام 1588م وجهت أنظار العثمانيين من جديد نحو المجر ،ووقعت الحرب عام 1593م واستمرت أربعة عشر عاما .[4]

وقد خرجت هذه الحملة بقيادة محمد الثالث من اسطنبول في 20 يونيو عام 1569م حيث عبر مدينة صوفيا ليصل إلى بلغراد حيث استقبل استقبالا حافلا بقي 11 يوما ثم تحرك وصل قلعة أكري بدأ الحصار وكانت أكري قلعة مهمة جدا في المجر الشمالية في حوزة الألمان .لم يتمكن عسكري مقتدر كالوزير الأعظم قوة أحمد باشا في عهد القانوني

---

[1] – يلماز أوزتونا ،تاريخ الدولة العثمانية ،تر ،محمود سلمان ،مجلد 1،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ،ط 1 ،اسطنبول 1988 ،ص 433 .

[2] – فريد بك ، المصدر السابق ،ص 267 .

[3] – يلماز أوزتونا ،المصدر السابق ، ص 434 .

[4] – كمال الدين/ حسان/ وعلي/،الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،تر صالح ،سعداوي ،د ،ط ،مركز الأبحاث ،اسطنبول تركيا ،1999 ،ص 47 .

من فتحها برغم محاصرته لها 39 مرة. يعتبر فتح قلعة كهذه خلال 18 يوم، توفيقا كبيرا.[1]

ثم لم يلبث بعدها أن هزم الجيش والمشترك من الألمان والمجريين في موقعة خارج أووه، كان يقوده الأرشيدوق ماكسيليان غير أن هذا النصر لم يكن ذا جدوى للعثمانيين [2].

وإن لم يكن دون صعوبات، سوف يتطور الموقف لصالح العثمانيين وكما كانت السنوات الطويلة للحرب على هذه الجبهة قد أثرت بشكل بالغ على الموقف المالي للإمبراطورية [3].

وفي حرب هاجوفا الأولى انتصر الجيش الألماني على مقدمة الجيش العثماني، سقط 1100 جندي عثماني شهيدا وفقد 42 مدفعا، إنّ معركة هاجوفا الكبرى الأصلية بدأت بعد 4 أيام 26/ 10/ 1596 .

وفي عام 1003هـ /1595م وفي وسط مؤامرات قصر السلطان العثماني محمد الثالث وتنازع الوزراء، خسرت الدولة العثمانية عدة مواقع في أوروبا. كان من ضمنها قلعة "استركون " لصالح الألمان، وأثناء هذه الكوارث مكث سنان باشا 16 يوما في بخارست، وكان سنان باشا بالانسحاب خوفا من الهجوم المفاجئ، وبدأ الجيش في اجتياز الدونة الكبيرة ومثل هذه الحركات العسكرية لن يعبر صنف الصاعقة الجسر إلى بعد أن يعبره الجيش بكامله، وأثناء وجود جيش الصاعقة فوق الجسر الفويفودا مخائي يتعقب الجيش العثماني ودخل ميخائي الئ تاركوفيشته . وأجلس 3500 تركيا على الأوتاد، وأثناء حدوث هذه الوحشية أمر أدركهم ميخائي بجيشه. وقام بإغراقهم أثناء عبورهم النهر

[1] – يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص438 .

[2] – كمال الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص47 .

[3] – روبر مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة، بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للدراسات للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص234 .

ونتيجة لإخفاق سنان باشا في رد هذه الهجمات. فقد عز له السلطان وتم تعيين إبراهيم باشا وزيرا أعظم للدولة العثمانية [1].

ونظرا لهذا الوضع الحرج ولتنامي قوة الجيش الألماني الذي بات يمثل خطرا حقيقيا ضد الدولة العثمانية ككل. قرر السلطان محمد الثالث الخروج بنفسه للجهاد [2]، فسار إلى بلغراد ومنها إلى ميدان الحرب والنزال ففتح (أولو ) الحصينة التي عجز السلطان سليمان عن فتحها في سنة 1556[3] .

بدأت الحرب بهجوم الألمان واختراقهم مراكز العثمانية في العمق ووصولهم بالقرب من المخيم السلطاني .

دخل الوزير الأعظم إبراهيم باشا إلى خيمة السلطان وأخبره بأن انسحابه أصبح من الضرورات العسكرية، كانت هاجوفا من أكبر انتصارات العثمانيين ولكنه انتصار لم يقيم استراتيجيا، فقد العثمانيون روح الفتوحات وطاقة التحرك حملة أكرى هي الحملة الهمايونية الوحيدة خلال الـــ 55 عاما من 1566 إلى 1621[4] .

وفي عهده حصلت ثورة داخلية في بلاد الأناضول أثناء القتال على حدود النمسا والمجر قام بها المتبقون من الجنود المرتزقة هناك بعد أن فروا من ساحة الحرب في أوروبا فعوقبوا وحقرو فتمرد أحد رؤسائهم [5] فأرسلت إليه الجيوش وحاصرته فيها، ولما رأى أن لا مناص له من التسليم أو الموت عرض على الوزير المحاصر له الطاعة للسلطان بشرط تعيينه واليا لأماسيا فقبل شرطه ورفع عنه الحصار لكن بمجرد ابتعاد الجيوش عاد للعصيان مرة أخرى واتحد مع أخيه، فأرسل صقللي حسن باشا مع جيش لمحاربتهما وانتصر على قره يازيجي [6]، الذي التجأ إلى الجبال قرب البحر الأسود، أما

---

[1] – يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص335، 337 .

[2] – القرماني، تاريخ سلاطين آل نمان،دار البصائر للنشر والتوزيع، ص63، 64 .

[3] – فريديك، المرجع السابق، ص267 .

[4] – يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص440 .

[5] – علي حسون، المرجع السابق، ص131 .

[6] – فريديك، المرجع السابق، ص269 .

أخوه فقد تغلب على صقللي وقتله وحاصر كوتاهية سنة 1010 وحينها تجسمت الأمور ولجأت الدولة إلى السلم وعرضت عليه ولاية البوسنة استدراجا له .

فقبل وسافر مع جنوده من كرد وقرمان وتوجهت قوته لمحاربة الأفرنج حتى قضي على القسم الأكبر منها في مناوشات الدولة مع النمسا والمجر، وقد أضعف ذلك التمرد الدولة وأخّل بالنظام العسكري وانقّض الدخل بسبب تلك الفتنة، ثم قام جنود السياه بتمرد في اسطنبول كاد يقضي على الخليفة ولكن الإنكشارية سرعان ما أخمدته .[1]

[1] – علي حسون، المرجع السابق، ص 131 .

# المبحث الثالث:

## أسباب ونتائج انهيار الجيش العثماني

## المبحث الثالث: أسباب ونتائج انهيار الجيش العثماني

**تمهيد :** من الطبيعي أن يتساءل عن تحول الانكشارية من جيش قاد الدولة العثمانية إلى النصر وترجيح كفتها في المعارك التي خاضتها، إلى جيش مستهتر كثير التمرد والعصيان، يهزم في أغلب المعارك التي يخوضها ويتحول إلى أداة تخريب وفتك بمن يقف في طريقهم، إذ أنهم استبدلوا بالسلاطين والوزراء عزلوا وقتلوا، وعاثوا في الأقاليم فسادا وظلموا الأهالي، فصاروا حكومة داخل حكومة، والدولة العثمانية لا تستطيع أن تأتي بفعل ضدهم، أو تقف أمام تنفيذ رغباتهم، وكلما تساهلت معهم زادوا في غيهم حتى وصل الأمر إلى أن يخشاهم كبار رجال الدولة، وينفذون أوامرهم خوفا من بطشهم وعلى هذا لا بدّ من معرفة الأسباب التي جعلت الانكشارية في مستوى القوة والتمرد على سياسة الدولة .

### المطلب الأوّل: الأسباب السياسية

فالعامل السياسي كان من أهم الأسباب وأوضحها ومن ذلك تقاعس السلاطين عن الخروج للحرب على رأس الجيش، وقد أكّد ذلك معظم المؤرخين حيث أشاروا إلى بوادر الضعف بدأت تظهر بعد وفاة السلطان سليمان القانوني الذي أبطل قاعدة مهمة وهي عدم خروج السلطان على رأس الجيش، وصارت الجيوش تخرج تحت إمرة قائدها العام وهو من الإنكشارية ،مما جعل الإنكشارية في معظم الأحيان ترفض الخروج للحرب إلا إذا كانوا تحت إمرة السلطان ،ونجد تقاعس السلاطين الذين جاءوا بعد سليمان عن الخروج للحرب في كثير من الأحيان وأدى ذلك إلى رفض الإنكشارية الاستمرار في الحرب في كثير من الأحيان وأدى كذلك مع مرور الزمن إلى فقدان السلطان هيبته في نفوس الإنكشارية .[1]

كما أدى هذا الأمر إلى تقوية مركز القائد العام للجيش فأصبح له شأن عظيم، ورأى نفسه في مركز يجب أن لا يرد له طلب مما أدى إلى تضارب السلطة بين السلطان والقائد

[1] – محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 252 .

العام مما عقّد الأمور، وساعد على فساد الإنكشارية [1]وقد قاد هذا الأمر إلى نقطة مهمة وهي انخفاض الروح المعنوية في نفوس الإنكشارية، وارتخاء الروح القتالية لديهم وذلك لأنّ حضور السلطان الحرب له أثره على شحن القوة القتالية عند الجيش ورفع الروح المعنوية لدى الجند .[2]

وقد عقب السلطان سليمان خلفا، تراخوا عن الخروج للحرب وأضاعوا البلاد الواسعة التي فتحها أجدادهم وحافظوا عليها بدمائهم وحسن إدارتهم ثم كانت ثمة جراثيم داخلية تفتت في عظام الدولة إذ أنّ حكم ولايات الدولة العثمانية مختلفة الأديان والمذاهب والأجناس، وحفظ نفوذها فيها يحتاجان إلى نشاط وحكمة يفوقان مثلهما في إدارة شؤون الدول الأخرى وهذا لم يتهيأ للحكومة العثمانية بعد سليمان، لأنها لم تعرف كل هذه الأمور شيئا من الالتفات، إذ بعد أن نهض الملوك السابقون من آل عثمان بالدولة إلى ذروتها وقد أعقب السلطان سليمان خلفاء تراخوا عن الخروج .[3]

ونجد من الناحية السياسية أيضا عدم وجود قاعدة ثابتة لتولية السلاطين عرش الدولة وعدم وجود نصوص شرعية أو قانون يعتمدون عليه الحكم، فقد كانوا آخذين بمبدأ الاستخلاف وليس الشورى قال تعإلى : **<< و أمرهم شورى بينهم >>**[4] والخلافة تأتي في الإخوة والأبناء الأمر الذي أوجد كثير من الخلافات الداخلية، هيأت للإنكشارية فرصة التدخل في تولية العرش .[5]

---

[1] – محمود شاكر، المرجع السابق، ص113 .

[2] – أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط1، دار القاهرة، مصر، 2008، ص155 .

[3] – عمر الإسكندري، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، الط 2، القاهرة، مديولي1416هـ –1996م، ص42 .

[4] – سورة الشورى، الآية 38 .

[5] – أماني بنت جعفر، المرجع السابق، ص155 .

وكان الأبناء يتولون في العادة أماكن متفرقة من البلاد، كتدريب لهم على الحياة السياسية، وفي بعض الأحيان الإخوة يختلفون ويحدث بينهم صراع على تولي العرش [1]، وفي عصر الضعف كانت الإنكشارية تتدخل لتصنع من تريد حتى تبقى لها اليد الطولى في السلطة وهذا نتيجة لعدم وجود قاعدة ثابتة لتولي الحكم، فأصبح هناك فجوة واسعة بين السلاطين وأبنائهم أو بين الإخوة بعضهم ببعض، مما فتح المجال للإنكشارية بتولية وعزل من أرادوا [2] إضافة إلى ذلك أصبحت تولية المناصب في الدولة تخضع لعملية الرشوة فصارت المناصب ليس لمن يستحقها وإنّما لمن يدفع أكثر، كما أن آغاوات الإنكشارية استخدموا الرشوة كوسيلة للوصول إلى المناصب العليا ولتأثيرهم القوي على السلاطين في تولية العرش فقد اتبعوا وسيلة الإكثار من الطلبات الخاصة بهم مما يجعل السلطان الجديد يعمل على إرضائهم فيعطيهم المال والهبات يوم تنصيبه، إضافة إلى امتيازات جديدة [3] ونجد أنّه في فترة حروب الدولة العثمانية كانت هذه العطايا مرهقة بالنسبة للدولة والخزينة.[4]

فكانت تضطر إلى دفعها وإلا فإنّ الإنكشارية تقوم بثورة وتمرد وهكذا تسببت في تعطيل سياسة الدولة العثمانية كثيرا ونتج كل هذا عن زيادة امتيازاتهم وجعلوا أنفسهم يتدخلون في كل الشؤون ويتحكمون في السلاطين .[5]

ويبدوا أنّ نفوذهم هذا لم يأت من فراغ، فقد أعطاهم السلاطين الهيبة والنفوذ والقوة حتى يكونوا مطيعين لهم حماة للدين والدولة العثمانية لكن الصورة انقلبت وأصبح السلاطين يحتاجون لمن يحميهم من الإنكشارية إضافة إلى أنّ العقلية العسكرية كانت قد سيطرت عليهم تماما، فنسوا وظيفتهم الأساسية وهي الحرب والجهاد، وكانوا إذ أنسوا من

---

[1] – أماني بنت جعفر، المرجع السابق، ص155.

[2] – محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي ،ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993،ص78، 79 .

[3] – عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، د ط،القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980، ص494 –495.

[4] – نفسه، ص425 .

[5] – أماني جعفر صالح، دور الإنكشارية، ص157 .

السلطان الضعف مارسوا الفساد [1]. وهذا يرجع إلى أنّ الإنكشارية ظلّت حريصة دائما على صبغ تصرفاتها بصفة الشرعية فكانوا دائما يحافظون على علاقاتهم مع العلماء وشيوخ الإسلام، حتى وإن أصابها الضعف في بعض الأحيان، وكان لزيادة نفوذ الجيش أثر سلبي على الدولة، حيث لم يكن السلاطين قادرين على القيام بأي حركة إصلاح دون جسّ نبض هاتين القوتين أي الجيش الإنكشاري كقوة أولى وشيوخ الإسلام والعلماء مع ضمان مساعداتهم، أو على الأقل عدم اعتراضها فكانوا المتحكمين في الأوضاع بعد أن كانت الإنكشارية في الماضي هي عماد الدولة وقوتها، وصارت مع مرور الوقت مصدرا للفساد والضعف والصراع والتنافس، مما أدى إلى توقف فتوحات الدولة العثمانية ووجدت الدولة نفسها عارية دون أي غطاء للحماية سواء من الداخل أو الخارج.[2]

مما يدل على ضعف شخصية السلطان أمام تصرف الانكشارية أنه في حالة فتح الجيش المدينة تكون هناك في العادة اتفاقية أو هدنة تتضمن شروط التسليم وكان من ضمنها المحافظة على أرواح أهالي المدينة وأموالهم وأعراضهم ،ولكن الانكشارية لا تعبأ بشروط التسليم وتمارس أعمال السلب والنهب وقتل الأهالي ،إضافة إلى هتك الأعراض وإحراق المنازل والحوانيت ،أما داخل اسطنبول فلم تكن الحالة أفضل ،فقد كانت حركات عصيانهم تحمل في طياتها معنى التحدي للسلطان والدولة نفسها ،فكثيرا ما تعرضوا لموكب السلطان ومنعه من الوصول للقصر السلطاني مطالبين بمزيد من العطايا والامتيازات، وكانت هذه وسائل بعيدة كل البعد عن الانضباط العسكري [3]،وفي نفس الوقت زاد تسلطهم على أهالي البلاد التي تحت الحكم العثماني ،فقد امتد طغيانهم إلى الأهالي الآمنين في المدن ،وزادوا في نهب وسلب منازلهم وتعدوا على أرواح الناس دون وجه حق، أما موقفهم داخل ساحة المعركة فيكفي ذكر: أن الانكشارية كانوا يكافؤون بقدر

[1] – محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني في عصر محمود الثاني، 1808م –1829م، الطبعة 1،القاهرة، دار التراث، ص82 .

[2] – محمد عبد اللطيف، المرجع نفسه، ص83 .

[3] – عبد العزيز الشناوي ،المرجع السابق ،ص 496 .

عدد رؤوس القتلى، فصارهم جندي الانكشاري في حالة الانتصار، جمع أكبر عدد من رؤوس القتلى الأعداء، وسرعة تسليمها للقائد العام في خيمته من أجل الحصول على المكافأة .[1]

وهذا يكشف بأن عهد الجهاد والدفاع عن الإسلام في الفترة المتأخرة لم يكن هو الصفة الغالية على معنويات الجند الانكشارية، فحل محل ذلك الأطماع الشخصية والأهداف المادية، مما حقق لأعداء الدولة العثمانية النصر في عدة جبهات .

إضافة إلى أن زيادة عدد الانكشارية وانتقال هذه الأعداد إلى اسطنبول زاد من تمردهم بحيث أصبح رؤسائهم يحققون كل ما يشاءون من السلاطين لا سيما إذا كان السلطان على قدر من ضعف الشخصية، وبهذا التحول الأخير أصبحت الانكشارية هيئة عسكرية وراثية، وليست هيئة جنودها مختارين على أساس المهارة والمقدرة الحربية[2]، ومع مرور الأيام ازدادت أعداد الانكشارية حتى صار أبناء الجنود الانكشارية يدخلون فيها دون اعتبار للقدرة العسكرية ،وبحلول عهد مراد الثالث الذي يعتبر عهده نقطة تحول خطيرة في الأسس التي قامت عليها الانكشارية ،فقد انضم كثير من الأهالي وعامة الناس إلى الجيش الانكشاري[3]، بموافقة من السلطان مراد الثالث، على الرغم من رفض آغا الانكشارية على انضمام أولئك الذين ليس لهم دراية وخبرة عسكرية فعزل السلطان فرهاد باشا وعين بدله آغا آخر الذي فتح الباب لكثيرين منه وخاصة اليهود ،الذين أحبوا الاختباء في صفوف الانكشارية لزرع الفساد بين الجنود ،وهكذا صارت الانكشارية مثل الجهاز الأجنبي داخل الدولة العثمانية يعمل على إفساد أمورها .[4]

كان لزيادة أعداد الانكشارية أثره في عجز الخزينة عن القيام بنفقاتهم أيام السلم ،مما أدى إلى العصيان والفساد ووقوع الفتن بينهم، فصاروا أعلة لحصول التنافر ،وباعثا على

---

[1] – محمد عبد اللطيف ،المرجع السابق ،ص 88 .

[2] – أماني بنت جعفر ،المرجع السابق ،ص 170 .

[3] – عبد الكريم رافق ،العرب والعثمانيون ، ط 1 ،دمشق ،1974 م،ص 120 .

[4] – عبد الرحيم مصطفى ،أصول التاريخ ،المرجع السابق ،ص 160 .

ظهور المفاسد والمكائد العديدة، حتى أيام السلم ففي عهد السلطان مراد الرابع ضعفت الانكشارية والدوشرمة على حد سواء نتيجة لزيادة أعدادها بشكل كبير ،ونتيجة للامتيازات التقليدية والإعفاء من الضرائب زاد الإقبال على الانخراط في صفوف الانكشارية خاصة من السكان المسلمين [1]،وهذا ما جعل السلاطين يتبعون سياسة خفض أعدادهم، وإضعافهم نظرا للسطوة التي بلغوها والتي كانت كثيرا ما تهدد مصير السلاطين أنفسهم، وقد اعتمد السلاطين على ما يمكن تعبئته من الرجال المتطوعين ومن الجند غير النظامين الذين لا يتقاضون أجرا إلا عن الفترة التي يستخدمون خلالها في القتال ،وذلك من أجل تدارك النقص في إعداد الجيش حيث أدت هذه السياسة إلى استقرار داخلي في الدولة العثمانية ،إلا أنها كانت سيئة بالنسبة إلى حروب الدولة العثمانية ،ونتيجة لاختلال الرقابة عليهم فقد انضم للانكشارية كثير من المسلمين الأمراء للتمتع بامتيازاتهم، وهؤلاء صاروا يتدخلون في السلطة بعقوق عسكرية فخربوا سياسة الدولة، وأصبحوا بحاجة إلى جيش للتخلص منهم.[2]

كما أخذ أعداد المتزوجين تزداد في صفوف الانكشارية الأمر الذي أدى إلى إقامة هؤلاء في منازلهم بدلا من الثكنات العسكرية ،كما أسهم إهمال الدوشرمة في فساد الانكشارية وتمردهم بشكل كبير ،فقد أهمل السلاطين هذا الجهاز المهم بالتدرج وإضافة إلى هذا كله سمحت الانكشارية بدخول أصحاب الحرف والصناعة في صفوفها بالرشوة، ثم سمحت لهم بحمل أسلحتهم في أوقات السلم خوفا من قيامهم بحركات عصيان [3]،وقد اعتمد أصحاب الحرف في دخولهم إلى صفوف الانكشارية على واقعة حدثت في عهد السلطان سليمان القانوني عندما أمر الصدر الأعظم ،وقائد الجيش بدخول بعض العناصر الأجنبية عن الانكشارية إليها ،لكن نجد أن الصدر في ذلك يرجع إلى أن الفتوحات الإسلامية في عهد سليمان القانوني ،كانت على أشدها لذلك احتاج إلى عدد كبير من

[1] – أماني بنت جعفر ،المرجع السابق ،ص 162 .

[2] – نفسه ،ص 163 .

[3] – محمد سهيل ،المرجع السابق ،ص 253 .

الرجال الأشداء ،فأدخل حوالي اثنا عشر ألفا، ثم ألغى ذلك القانون لاحقا ،ودخول هذه العناصر إلى الانكشارية دون تدريبهم على أكمل وجه، وبتزايد حروب الدولة العثمانية تزايد جمع الجنود من أهالي القرى ولإرسالهم إلى أدرنة لتأدية التدريبات العسكرية اللازمة [1] ،ويتضح أن الجيش الانكشاري لعب دورا مهما في تاريخ ومصير الدولة العثمانية لأنه صار مسؤولا عن نقطتين في غاية الأهمية وهما :تحديد مسار الفتوحات ومدى استمرارها، وتحديد من سيجلس على العرش العثماني من أسرة آل عثمان ،كما كان الجيش صاحب الكلمة في الدولة في الفترة التي يكون فيها العرش العثماني خاليا أي بعد وفاة أحد السلاطين، وحتى مجيء غيره وكثيرا ما قاموا أثناء ذلك بفتن وتمردات داخل القصر السلطاني، بسبب غياب السلطان القوي وسوء التدبير والظلم ساعد على إظهار التمرد .

**المطلب الثاني: الأسباب الاقتصادية**

أما بالنسبة للأسباب الاقتصادية [2] فقد ارتبطت بعوامل الضعف التي أصابت الدولة العثمانية منذ أواخر عهد السلطان سليمان القانوني [3] ،حين بدأ النفوذ الأوروبي بالازدياد داخل الدولة العثمانية إثر الامتيازات التي منحت لفرنسا بموجب معاهدة سنة 1535م ،وتعثرت الفتوحات العسكرية العثمانية في شرق أوروبا ،وفشل السلطان الأخير في القضاء على الدولة الصفوية في إيران ،ومنافستها بالرغم مما حققه من انتصارات عسكرية عليها، ثم تخليه عن قيادة بعض الحملات العسكرية ،والسماح للجيش الانكشاري بالقتال تحت امرة قادته الذين كثر فيما بعد تمردهم ضد الدولة وابتزاز الأموال من السلاطين العثمانيين [4] ،كل ذلك أسرع خطى الفساد والتدهور في المؤسسة العسكرية وتشكيلاتها وبالتدرج ،فقد الانكشارية معظم مهارتهم القتالية ولم يعد بالإمكان الاعتماد

[1] – أماني بنت جعفر، المرجع السابق، ص 167 .

[2] – نفسه، ص 170 .

[3] – محمد جميل بيهم ،فلسفة التاريخ العثماني أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها ، د ط ،د د ن ،1373 / 1954 م ،ص 283 .

[4] – محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 91 .

عليهم في ميادين القتال، وبخاصة ابتزاز الأموال والرشوة بالنسبة إليهم أكثر أهمية من إحراز النصر ،بالإضافة إلى ذلك لم يبذل جهد لمواكبة التطور العسكري الذي وصلت إليه الدول الأوروبية التي أدخلت تطورات على أساليبها وسلاحها [1] في الوقت الذي احتفظت فيه الدولة العثمانية بأساليبها العسكرية القديمة ،وكان يجري في أغلب الأحيان تعيين القادة العسكريين ليس لكفاءتهم بل للرشاوي التي كانوا يدفعونها ،وكانوا يفتقرون إلى الخبرة والمقدرة العسكرية [2]،كما كان للأزمة المالية التي مرّت بها الدولة العثمانية منذ أواخر عهد السلطان سليمان القانوني ودورها الفعال في إضعاف البنية الداخلية للمؤسسة العسكرية ،فقد أخذت هذه الأزمة تتفاقم في الدولة منذ مطلع القرن 16م نتيجة لاكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح في سنة 1498 م، وتأثير ذلك على طرق التجارة البرية والبحرية التقليدية التي كانت تجتاز أراضي الدولة العثمانية وبحارها ،كما أن اتساع ممتلكات الدولة في القارتين الآسيوية والأوروبية تطلب توفير جيش كبير وإمكانات عسكرية فعالة للدفاع عنها، وموازنة مالية ضخمة تستوعب رواتب الجند وحاجات التوسع العسكري [3]،وقد اضطرت الدولة إزاء ذلك إلى الاعتماد إلى حد كبير على غنائم الحرب لتوفير الاعتمادات اللازمة لها يضاف إلى ذلك أن سلسلة الهزائم العسكرية التي أصابت المؤسسة العسكرية العثمانية منذ أواخر القرن السادس عشر ميلادي زادت من الحرج في الوضع الداخلي وتفاقم الأزمة المالية .

حيث تلك الأوضاع جعلت إيرادات الحكومة العثمانية غير كافية لسد نفقاتها وبخاصة العسكرية ،الأمر الذي دفعها إلى اتخاذ أساليب أصبحت معتادة في الحياة العثمانية مثل بيع المناصب الحكومية وزيادة الضرائب وتخفيض قيمة العملة [4] عند شراء أي سلعة تزن

---

[1] – أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص 104 .

[2] – نفسه، ص 104..

[3] – هاملتون جب ،وهارولد بوون ،المجتمع الإسلامي والغرب الحديث 1516 – 1916 ،الموصل 1991 ص 244 ، 249 .

[4] – يوسف عبد الكريم ،المؤسسة العسكرية العثمانية ،دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع ،عمان الأردن ،1931 م ،ص 142 .

العملة أساسا مغشوشة ،وذلك لأن مصانع صك النقود تحت سيطرة اليهود ،فهم يقومون بالغش في قيمة العملة الواحدة ،وبالتالي كانت تدفع الرواتب للانكشارية من عملات يدخل في صبها بعض المعادن الرخيصة [1] ونظرا لكل هذه الظروف اضطر بعض السلاطين العثمانيين إلى قبول الرشاوي، نظير من يحصل على وظيفة عليا في الدولة ،لسد العجز المالي الذي واجهوه للوفاء بالالتزامات المالية المطلوبة منهم ،وحدث في النصف الثاني من القرن السادس عشر ،أن تدفقت الفضة الرخيصة إلى البلدان المطلة على البحر المتوسط من العالم الجديد فاضطرب وضع النقد العثماني ،تبعا لذلك انهارت قيمة وحدته، وهي الأقجة وارتفع سعر الذهب وقلّ وجوده بسبب ازدياد قيمته بالنسبة للفضة، وأصدرت الدولة العثمانية وحدة نقد فضية جديدة في سنة 1620 ولكنها لم تنفع في القضاء النقدي وغلاء الأسعار ،وفشلت محاولة أخرى لاحقة حين أصدرت الدولة عملة جديدة .

لقد أثر انخفاض العملة وتجنبها على سلوك الانكشارية فقد كان دينار الذهب السلطاني وزنه درهم وقيراطان واحد منه يساوي ستين عثمانية في أوروبا وفي مصر بثمانين عثمانية، واستمر في الارتفاع حتى وصل دينار الذهب بألفين عثمانية أي بالعملة العثمانية، وكانت علوفات الجندي الانكشاري يبدأ من عشرة حتى تصل إلى مائة عثمانية، كان هذا المبلغ لا يكفي ثمن فنجان القهوة التي يشربها، إضافة إلى باقي حوائجه ،مما أدى إلى الثورة الانكشارية وتمردهم على السلطان والمطالبة باستمرار بزيادة الراتب وهذا ما جعل الانكشارية أيضا جنودا فقراء ،وفي وقت السلم بلا مسؤولية وبلا عمل [2]، حتى أنهم بذلك مثلوا خطرا كبيرا على الدولة ،ففي أي وقت كانوا يقومون بنهب منازل الأهالي ،فقد ظلموهم واستولوا على أموالهم وابتزازهم وذلك لضيق معاشهم دون وجه حق [3]،ولكثرة عدد الانكشارية جعل الخزينة تعجز عن القيام بنفقات الجند في أيام السلم ،وأيضا فراغ خزينة الدولة في بعض الأحيان ،نظرا لكثرة حروب الدولة العثمانية ،وكذلك زيادة

[1] – يوسف عبد الكريم، المرجع السابق، ص143 .

[2] – أماني بنت جعفر، المرجع السابق، ص 171 .

[3] – عبد الكريم رافق، المرجع السابق، ص 125 .

مصاريف بعض السلاطين مما يؤدي إلى تأخير صرف لرواتب الجند ،فيزيد ذلك من تمرد الانكشارية وعصيانهم ،مما دفع بالدولة إلى زيادة الضرائب على الأهالي ،كما أدى فراغ الخزينة إلى وقوع كثير من الظلم والجور والاعتداء على الأهالي فكان ذلك سببا في كراهيتهم للدولة العثمانية وجيشها، ولكثرة ما حملوا الخزينة فوق طاقتها كان السلطان يخرج مرتباتهم من خزينته الخاصة ،وكان أعداد الانكشارية المسجلة في الدفاتر كثيرة أغلبهم متقاعدين أو خدم أو أتباع لا يخرجون للحرب أصلا، ونتيجة لهذه الأعداد كانت الدولة تعجز عن صرف رواتبهم [1]، وبالتالي تقوم بفرض ضرائب جديدة على الأهالي المثقلين بالديون ويتم جمعها بتعسف من قبل الجندي الانكشاري ،الذي صار مع مرور الزمن مجرد رجل يجوب الشوارع لجمع الأموال ،وكان هذا أبلغ تشويه لصورتهم ،ونذكر على سبيل المثال أنه أثناء تولي محمد الثاني الحكم للمرة الأولى وهو صغير السن في عهد مراد الثاني، استغل حياة الأموال وكبار رجال الدولة الوضع ونهب أموال الخزينة وحرمن الانكشارية من رواتبهم، وكان هذا بالطبع أحد الأسباب التي أدت إلى ثورتهم وتمردهم فاضطربت الأمور في أدرنة ،وسالت الدماء حتى تضرر الناس وضحوا وناشدوا مراد الثاني بالعودة للعرش [2]،كما أن أفراد الانكشارية الأقوياء ضعفن هممهم بسبب أن مرتبات خدم القصر تزيد عن رواتبهم ثلاث أضعاف وهو من يتحمل مشاق البرد والخمر وتعرضهم للمخاطر، مما أثر على نفوسهم وضعف هممهم أثناء الحرب والجهاد ،كما أن انتشار القحط والطاعون، أدى إلى ارتفاع أسعار الحبوب في بلاد الشام، ومن ثم ارتفاع ثمن الخبز إلى حد كبير ولم تنفع جهود الدولة في استيراد القمح من مصر وقبرص ،إذ أنه سرعان ما زاد ارتفاع الأسعار بسبب جشع التجار وأصحاب الأفران الذين ساهموا بشكل كبير في تفاقم هذه الأزمة ،ولم تفلح جهود الدولة في القضاء على هذه الأزمة لأن الجذور كانت أعمق من ذلك بكثير ،ولضيق ذات اليد وارتفاع الأسعار، لم يكن يستمعوا

[1] – أماني بنت جعفر ،المرجع السابق ،ص 172 .

[2] – محمد سهيل طقوس ،المرجع السابق ،ص 101 .

إلى أوامر السلطان أو قائد الجيش العام بعدم التعرض لأهالي المدن المفتوحة فقد كانوا لا يستطيعون التصدي لهم أو لأعمالهم التخريبية حتى أنهم عند وفاة أي سلطان يستغلون فترة فراغ العرش حتى صعود السلطان الجديد.[1]

لقد كان أفراد الانكشارية عماد الجيش ،وكان لتربيتهم الإسلامية العسكرية التي نشئوا عليها وكانت معنوياتهم مرتفعة وهممهم الإسلامية قوية ،جعلتهم لا يخوضون حربا إلا وكان النصر حليفهم، أسدوا للدولة خدمات عظيمة فكافأهم السلاطين على ذلك وأعطوهم امتيازات وإقطاعات زراعية فارتبطوا بأراضيهم، وما لبثوا بعد فترة أن تغيرت حياتهم فبدؤوا يختلفون عن الخروج للحرب معللين ذلك بسبب البرد القارص ،وهم في الواقع اعتادوا على حياة الراحة والاستقرار[2]،ومنحهم للأراضي الزراعية جعلهم يرتبطون بها ويرفضون مغادرتها للاشتراك في الجهاد ،اختلطوا بالسكان ومالوا لحياة المدن ،وفقدوا الهمة العسكرية ومما ساعد على هذا الأمر السماح لهم بمزاولة التجارة ،والبيع والشراء، فاتسعت امتيازاتهم في المدن ،وقوى نفوذهم ،إضافة إلى أن ارتباطهم بالثكنات العسكرية قد خف أساسا.[3] فأصبحوا لا يذهبون إلا لاستلام رواتبهم التي كانوا يبيعونها في أغلب الأحيان للحصول على العائد المادي.[4]

كان الاقتصاد العثماني شبه منهار، والدولة العثمانية لم تكن تصنع أي مصنوعات خاصة بها تقريبا ،فسمح للانكشارية بالاشتغال في الحرب والصناعة وذلك بهدف إثراء الصناعات المحلية ولو قليلا، وقد ساهم أغوات الانكشارية في الفساد، وبالتالي لم يبق من رجال الانكشارية رجال يعتمد عليهم، وكان لآغا الانكشارية دور كبير في مساعدتهم على العصيان والتمرد، وخدم أغراضهم ومصالحهم بهدف المحافظة على مناصبهم .[5]

---

[1] – أماني بنت جعفر ، المرجع السابق ،ص 174 . .

[2] – محمود شاكر ،ج2 ،المرجع السابق ،ص 111 – 112 .

[3] – محمد أنيس ،المرجع السابق ،ص 214 .

[4] – نفسه، ص 214.

[5] – أماني ،المرجع السابق ،ص 175 .

إن نظام الانكشارية أصبح للأسباب السابقة نظام ارتزاق ،فكان لكل جندي تذكرة يحمل بمقتضاها على مرتب وفي بعض الأحيان كانت تعجز الدولة عن دفع مرتبات هؤلاء، فكان الجندي يلجأ أحيانا إلى القوة للحصول عليها، أو يلجأ إلى بيع التذاكر لمن يدفع لهم أكثر فيصبح بذلك الشاري جندي انكشاري، وهذا ما جعل أسماء الكثير من عامة الشعب تدخل في قوائم الانكشارية، حتى أنه وجدت أسماء سيدات، قم بشراء التذاكر للحصول على الامتيازات الخاصة بالانكشارية، وعامة الناس لا يمكن الاعتماد عليهم وقت الحرب، في حين أنهم يشكلون عبئا اقتصاديا على الدولة .

**المطلب الثالث: نتائج انهيار الجيش الانكشاري**

مما سبق فإن تدخل الانكشارية وسيطرتهم على مقاليد السلطة في البلاد وتدخلهم في كل صغيرة وكبيرة بالدولة أهمها منصب السلطان ،فقد ثاروا على عدد منهم، وتم عزلهم وقتلهم، هذه الأسباب جعلت المسؤولين بالدولة يفكرون جليا بالقضاء على مؤسسات الدولة ومقاليد السلطة بها ،وانغماسهم في الحياة العامة وملذاتها ،وتركهم ساحات القتال ،اتجاههم إلى السلب والنهب خاصة أثناء عمليات الغزو ونتيجة لتلك السياسة خسر العثمانيون الكثير من القلاع والحصون والسيطرة عليها من قبل أعدائهم الأوروبيون، حاول السلطان عثمان الثاني 1618 – 1622م القضاء عليهم إلا أنهم سرعان ما خلعوه وقتلوه [1]،إن المسلك التي انتهجته الانكشارية بخلع وقتل السلاطين وتعيين أبنائهم صغار السن مكانهم كسلاطين ،طمع الأوروبيين في القضاء على الجيش العثماني ،لأن الضعف بدأ يهز كيانه ،والهزائم تلحق به من حين إلى آخر لتكاسل الانكشاريين واستعمالهم الأسلحة التقليدية القديمة ،مما حدا بالسلاطين التفكير بتطوير المؤسسة العسكرية وتجديد بنيتها بما فيها الجيش الانكشاري الذي تمادى بإلحاق الضرر بمؤسسات الدولة وشعبها .[2]

[1] – محمد عمر مروان ،الانكشارية قوة الدولة العثمانية وضعفها ،المجلة العلمية لكلية التربية ،المجلد 2 ،العدد الثامن، جامعة مصراته ،يونيو 2017 ،ص 334 .

[2] – عبد الكريم رافق، المرجع السابق، ص 131 .

فشل السلاطين في إحداث التطور المطلوب حتى عهد السلطان محمود الثاني 1808 – 1839 م الذي وضع نصب عينيه العمل على إنهاء مؤسسة الانكشارية التي اتسمت بالتسلط والتخريب والعنف، حيث أيقن لا يمكن إصلاح الوضع القائم الذي عليه الدولة من فوضى وضعف ما لم يقم بإصلاح الجيش بما فيها الجيش الانكشاري ،الذين لم يتقبلوا سياسة الإصلاح وكرد فعل ثاروا على السلطان وأبرموا النار في أغلب المناطق، وخوفا من تدمير العاصمة أذعن السلطان لمهادنتهم مرجعا تنفيذ برنامجه الإصلاحي إلى وقت قادم .[1]

حاول السلطان مرارا مع هؤلاء قبول فكرة الإصلاح إلا أنه فشل مع كل المحاولات التي اتخذت معهم ،لذلك أمر صدره الأعظم أن يدعوا إلى اجتماع في 27 ماي 1826 م بدار شيخ الإسلام حضره كافة كبار قادة الجيش ،وكبار ضباط فيالق الانكشارية [2] ورجال الدين على رأسهم شيخ الإسلام، حيث طرح في هذا الاجتماع إلى ما آل إليه حال الانكشارية من سلب ونهب وتدهور وانحلال، أدى إلى ضعف عام في مؤسسات الدولة وبالتالي ضرورة الأخذ بالنظم الحديثة وعلى رأسها مؤسسة الانكشارية من تحديث وتدريب وتسليح.[3]

وسرعان ما لاقت هذه الأفكار قبولا واستحسانا من الجميع بما فيهم ضباط الانكشارية، وما زاد في سرعة قبول الأفكار الفتوى التي أصدرها شيخ الإسلام بضرورة الأخذ بالنظم الحديثة وتطوير الجيش ،وكان من أهم نتائج الاجتماع أن أصدر السلطان في 28 ماي 1826 فرمانا باسم خطي الشريف الذي نص على وجوب تحديث الجيش وفق النظم الأوروبية الحديثة [4]، ورغم موافقتهم المبدئية أثناء الاجتماع فإنهم أعلنوا التمرد والعصيان في اسطنبول يوم 14–15 يونيو 1826م، وقد بدؤوا يشعلون النار في مبانيها

[1] – محمد عمر مروان ،الانكشارية قوة الدولة ،المرجع السابق ،ص 334 .

[2] – عبد العزيز الشناوي ، المرجع السابق ،ص 545 .

[3] – نفسه، ص 548 .

[4] – إسماعيل أحمد ياغي ،المرجع السابق ،ص 148 .

،ويقتحمون المنازل ،ويحطمون المجال التجارية، وقد اعتبر هذا آخر تمرد لهم [1]،أصدر السلطان أوامره للجيش ،بتطويق المتمردين في ساحة آت ميداني لوقوفهم في وجه الإصلاح، ووضع حد لشرورهم ووافق العلماء على ضربهم وقمعهم ،وأمر بدكهم بالمدافع مما أجبرهم إلى فك التمرد ،والرجوع إلى ثكناتهم التي دكت بالكامل وأشعلت بها النيران حيث سقط منهم ما يزيد على ستة آلاف انكشاري .[2]

[1] – محمد فريد بك، المصدر السابق ،ص 148 .

[2] – يلماز أوزتونا ،المرجع السابق ،ص 678 .

# خاتمة

## خاتمة

وفي الأخير توصلنا إلى جملة من الإستنتاجات يمكن حصرها فيما يلي:

عاصر حسن كافي جزء من فترة الضعف التي بدأت تنخر في جسم الدولة إبتداءا من سنة 994هـ/1585م وطوال هذه المدة كان الأقحصاري يرصد ويدون أسباب هذا الإنهيار ونتائجه، وقد حصره في أربعة وجوه.

.لعبت مؤسسة الإنكشارية دورا مهما في توسيع الدولة العثمانية منذ نشأتها وإستقرارها، حيث إستمرت هذه المؤسسة ما يقرب من خمس مئة سنة 500 لم يقتصر مهامها على الفتوحات التوسعية بل ساهمت في الشؤون الإدارية والمالية كما كان لها دور كبير في شؤون القصر.

استطاعت الدولة العثمانية بفضل مؤسساتها العسكرية أن تحقق العديد من الانتصارات العسكرية على أعدائها طيلة القرنين الخامس والنصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي، فوصلت إلى أوج قوتها وتوسعها الخارجي، غير أن زيادة النفوذ الأوروبي داخل الدولة، أثر عقد المعاهدات والامتيازات وتعاقبها منذ سنة 1535 .

توقفت الفتوحات العسكرية والأزمة الاقتصادية والعسكرية فضلا عما أصاب الجيش الإنكشاري من تدهور وإنحلال ترك أثره البالغ في إضعاف المؤسسة العسكرية.

تحول هذه المؤسسة العسكرية من المحافظة على أمن إستقرار الدولة، إلى جهة تبث الرعب والفوضى بين الناس، حتى أصبح الإنكشاريون رمزا للفساد والفوضى والانحلال بعد أن كانوا سيفا مسلطا على أعداء الدولة

خشية السلاطين من تفشي الفوضى والعصيان بين فئات المجتمع دفعهم إلى محاولة إصلاح هذه المؤسسة أو القضاء عليها فكانت ردة الفعل من جانب الأنكشارية جعل السلاطين وقتلهم

وأضحت والدراسات أن تمردات الإنكشارية انقسمت إلى أربعة أسباب والسبب الاول منها متعلق بالسياسة العليا وانحصر في:

أ- تقاعس السلاطين عن الخروج للحرب وإرسال الصدر الأعظم لقيادة الجيوش بدلا من السلطان مما أدى إلى إنخفاض الروح المعنوية للجيش العثماني وخاصة الأنكشارية.

ب- عدم وجود قاعدة ثابتة لتولية السلاطين عرش الدولة العثمانية فقد أخذوا بمبدأ الإستخلاف، وبالتالي فمن الممكن أن يأتي الحكم في الأبناء أو الأخوة، مما أوجد بين هذه الأطراف خلاف وصراع ، تدخلت فيه الإنكشارية بصورة حادة لترجيح كفة من تريد حسب رغبتها.

ج-تزايد أعداد الإنكشارية بشكل كبير شكل عجزا واضحا في أدائهم بالإضافة إلى أن بعض من هؤلاء اندرجوا في الانكشارية ليس بسبب الحصول على الرواتب والأعطيات، وإنما ليشكلوا جواسيس للدول الأجنبية خاصة روسيا، فعملوا على بث روح الفتنة والفساد بين صفوف الأنكشارية كما أدى تزايدهم إلى عجز الخزينة عن دفع رواتبهم والقيام بتوفير مستلزماتهم الضرورية.

أما السبب الثاني وهو السبب الإقتصادي فقد تركز في انخفاض قيمة العملة التي كانت تصرف بها رواتب الانكشارية، حيث كانت العملات مغشوشة بمعادن بخسة الثمن، وبالتالي لاتقبل في الأسواق والحوانيت مما يؤدي إلى ثورتهم كما أنه في بعض الأحيان نتيجة لعدم وجود عملات صحيحة في دار سك العملة يضطر السلطان إلى إخراج رواتبهم من خزينته الخاصة، تسكينا لتعصباتهم أو تحرم الأنكشارية من رواتبهم لبعض الوقت.

أما السبب الثالث فقد كان اجتماعي حيث أن إلغاء الحضر المفروض عليهم بمنع الزواج أدى إلى إرتباطهم بأسرهم وتربية الأبناء وتعودهم على حياة الاستقرار والراحة والرفاهية مما أفقدهم الهمة في القتال.

أما السبب الرابع والأخير فقد تركز في نفسية الأنكشارية حيث أصيبو بالغرور والكبرياء ونتيجة لأعمالهم البطولية السابقة التي أعطتهم إحساس بأن جميع مطالبهم مجابة معتمدين، رافضين أي محاولات للإصلاح.

تولى الحكم سلاطين ضعاف الشخصية ساعد على زيادة نفوذ الانكشارية وتعديهم على الشخصيات المهمة في القصر السلطاني من صدور عظام ووزراء وانتهاك لحرمات منازلهم.

لم تعد أخلاقهم، أخلاق المحارب المسلم إذ أنهم أخفقوا في الالتزام بوعود السلطان في معاهدات التسليم فعندما يدخلون أي مدينة أو قرية يمارسون سلب ونهب الأموال وانتهاك حرماتهم مثلما حدث أثناء فتح جزيرة قبرص في عهد سليم الثاني

كانت معركة ليبانتو البحرية المحك الأول الذي فضح تعفن وفساد نظام الانكشارية المختل فضلا عما أصاب الجيش الأنكشاري من تدهور وانحلال، ترك أثره البالغ في إضعاف المؤسسة العسكرية ففي نهاية القرن السادس عشر عندما بدأ الفساد يدب في نظمهم فبدأو يفقدون روحهم العسكرية حتى تحولوا في آخر الأمر إلى مظهر من مظاهر إضعاف الدولة إذ وقفو بشكل سافر أمام محاولات السلاطين الرامية إلى الإصلاح وتطبيق القوانين العسكرية الجديدة.

# المصادر والمراجع

**المصادر والمراجع:**

**1- المصادر:**

1. القران الكريم
2. اينالجك خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر محمد الارناؤوط ،ط2 ، دار الغرب الاسلامي ن بيروت .لبنان ، 2014.
3. أوزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر محمود سلمان، مج1 ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، ط1 ، اسطنبول ، 1988.
4. القرماني، تاريخ سلاطين ال عثمان، د.ط ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، د.م.ن ، 1985.
5. اينالجك خليل ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية (1300م/1600)، تر عبد اللطيف حارس، ج1 ،دار المدار للاعلام، بيروت، 2007.
6. الخانجي محمد بن محمد، الجوهر الاسنى في تراجم العلماء وشعراء بوسنة ، تح عبد الفتاح محمد الحلو، ط1 ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة ، 1413ه-1992م.
7. الاقحصاري حسن كافي، شرح سيمت الوصول إلى علم الاصول، تح محمد دبدوب ، د.ط ، د.د.ن ،د.م.ن، 1412ه.
8. الاقحصاري حسن كافي، اصول الحكم في نظام العالم ، تح نوفان رجا الحمودي ، منشورات الجامعة الاردنية، عمان ، 1918م.
9. الاقحصاري حسن كافي، ازهار الروضات في شرح روضات الجنات ، تح علي ضيافي ، د.ط ، الجامعة الاسلامية العلمية بماليزيا للنشر والتوزيع ،1025ه..
10. بيهم محمد جميل ، فلسفة التاريخ العثماني اسباب انحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها ، د.ط ، د.م.ن ، 1373ه/1954م.

11. بن طورخان لحسن ، نظام العلماء إلى خاتم الانبياء ، تح حسان محمد سعيد جلبي، معهد المخطوطات العربية ، د.م.ن 1441ه/2020

12. برناند لويس ، اسطنبول حضترة الخلافة الاسلامية ، تح سيد رضوان علي ، ط2 ، دار السعودية للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، 1402ه/1982م

13. خليفة حاجي ، كشف الظنون من اسامي الكتب والفنون ، ج2 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ،1999م

14. مانتران روبير ، تاريخ الدولة العثمانية ، تر بشير السباعي ، ج1 ، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م

15. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، تح احسان حقي، دار النفائس، ط1 ، بيروت، 1981/1401

16. اكمال الدين احسان اوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر صالح سعداوي، د ط ، مركز الابحاث اسطنبول ، تركيا ،1999م

**2- المراجع:**

1. الاسكندر عمر، حسن سليم، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، ط2 ، دار مديولي، القاهرة ، 1416ه/ 1996م.

2. انيس محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي، ط1 ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1993م.

3. الشناوي عبد العزيز ،الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، د ط ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1980م.

4. البحراوي محمد عبد اللطيف ، حركة الاصلاح العثماني في عصر محمود الثاني (1808م/1829م) ، ط1 ، دار التراث ، القاهرة ، د س ن

5. بركات مصطفى ، الالقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى الغاء الخلافة الاسلامية ،د ط ،دار الغرب ، القاهرة ، 1516ه-/1904م.

6. بني المرجة موفق، صحوة الرجل المريض، د ط ، مطابع دار الكويت للصحافة، الكويت، 1984م.
7. الصلابي محمد علي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط ، ط1 ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، مصر ، 1421ه/2001م.
8. بنت جعفر اماني ، دور الانكشارية في اضعاف الدولة العثمانية ، ط1 ، دار القاهرة ، مصر ، 2008م.
9. بيتر شرح ، اوربا العثمانية (1454/1804م) في اصول الصراع العرقي في الصرب والبوسنة ، تر عاصم الدسوقي ، ط1 ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، 1998م.
10. حسون علي ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط3 ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، 1415م/1992م.
11. شاكر محمود ،التاريخ الاسلامي العهد العثماني ، ط2 ، ج2 ، الاسلامي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1411هـ
12. سيد محمود سيد محمد ، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار ، ط1 ، مكتبة الاداب ، القاهرة ، مصر ، 2007م.
13. محمد سهيل طقوش ، تاريخ العثمانيين ، ط3 ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1434ه/2013م.
14. كوندوز اق احمد ، سعسد اوزتوك ، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضيح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية ، د ط ، وقف البحوث العثمانية ،السعودية ، 2008م.
15. عطار عدنان ،صفحات من تاريخ الاسلامي ، ط1 ، دار الاصالة ، بئر توتة ، الجزائر ، 1431ه/ 2010م.
16. مصطفى عبد الرحيم ، في اصول التاريخ العثماني ، ط2 ، دار الشروق ، بيروت ، 1413ه/1993م.

17. غربي غالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1916/1288) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007م

18. ياغي اسماعيل ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط1 ، مكتبة الهيئات ، الرياض ، المملكة السعودية ، 1997م.

19. عبد الكريم يوسف ، المؤسسة العسكرية العثمانية ، دار المكتب الحامد للشرق والتوزيع ، عمان ، الاردن ، 1931م.

20. جب هاملتون وهارولد بوون، المجتمع الاسلامي والغرب الحديث (1516ه/1916م) ، د د ن ، الموصل ، 1991م.

**3- المعاجم والقواميس والتراجم:**

1. الزركلي خير الدين، الاعلام قاموس التراجم ، ج6، ط15 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 2002م.

2. سهسل صابان ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، د ط ، مكتبة فهد الوطنية ، الرياض ، المملكة السعودية ، 2000م.

**4- الرسائل الجامعية:**

1. عبد الحق بوديسة، معركة ليبانت واثرها على العلاقات في العالم المتوسطي خلال القرن 16 ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016/2015م.

2. فيصل بن موسى، السلطة الحاكمة والهيئة الدينية في الدولة العثمانية خلال القرن 10ه /16م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر 2 الجزائر ، 2013/2012.

# الملاحق

**الملاحق:**

## الملحق رقم 01: واجهة الكتاب



منشورات الجامعة الأردنية

# أصول الحِكَم في نظام العالم

تاليف
حسن كافي الآقحصاري

تحقيق
نوفان رجا الحمود

عمان — ١٤٠٦هـ—١٩٨٦م

**الملحق رقم 02: الصفحة الأخيرة من الكتاب**

Publications of the University of Jordan

# Uṣūl al-ḥikam fī niẓam al-ʿālam

H. Kāfī Ef. al-Āqḥiṣārī

Edited by

N. R. AL- Hmoud

Bibliotheca Alexandrina
0171026

Amman – 1406 A.H. 1986

## الملحق رقم 03: أزياء قادة احدى الوحدات الإنكشارية[1]

أزياء قادة إحدى وحدات الإنكشارية (الاورطة)



آشجي أوستة سي
هو معلم العشية وكان للعشية زي موحد إلا أن زيهم يختلف عن زي عشية الأورطة رقم (٣٢) .

قره قوللقجي

أوتوز ايكينك آشجي أوسنة سي
هو رئيس عشية الأورطة رقم (٣٢) وهو من ضباط الإنكشارية، لهم زي مميز عن بقية العشية .

قره قوللقجي

برنجي أورنة لك آشجي أوستة سي
هم عناصر عشية الأورطة الأولى في أوجاق الإنكشارية وكان برأسهم (أسطة العشية) .

أزياء رسمية

[1] أماني بنت جعفر، مرجع سابق، ص 451.

## الملحق رقم 04: كبار رجال الدولة العثمانية[1]



شيخ الإسلام ينى جري آغاسي

[1] أماني بنت جعفر، مرجع سابق، ص 451.

## الملحق رقم 05: ضباط الإنكشارية[1]



من ضباط الإنكشارية



من ضباط الإنكشارية في عرض

[1] أماني بنت جعفر، مرجع سابق، ص 451.

## الملحق رقم 06: بعض كبار ضباط الإنكشارية[1]



(١)
سكبان باشي — جورباجي — أغا الانكشارية



بعض الأسلحة المستخدمة في الجيش العثماني .

[1] أماني بنت جعفر، مرجع سابق، ص 520.

# فـــهرس

فهرس:


| المحتوى | الصفحة |
|---|---|
| شكر | / |
| إهداء | / |
| قائمة المختصرات | / |
| مقدمة | أ |
| **المدخل التمهيدي:** أوضاع الدولة العثمانية خلال القرن 16 | 5 |
| **المبحث الأول:** التعريف بالكاتب والكتاب أصول الحكم في نظام العالم | 16 |
| **المطلب الأول:** التعريف بحسان الكافي | 16 |
| **المطلب الثاني:** التعريف بالكتاب | 23 |
| **المبحث الثاني:** سياسة الفتوح العثمانية | 29 |
| **المطلب الأول:** الفتوحات في عهد السلطان سليم الثاني | 29 |
| **المطلب الثاني:** الفتوحات في عهد السلطان محمد الثالث | 34 |
| **المبحث الثالث:** أسباب ونتائج انهيار الجيش الإنكشاري | 39 |
| **المطلب الأول:** الأسباب السياسية | 39 |
| **المطلب الثاني:** الأسباب الاقتصادية | 45 |
| **المطلب الثالث:** نتائج انهيار الجيش الإنكشاري | 50 |
| خاتمة | 54 |
| المراجع والمصادر | 58 |
| الملاحق | 63 |
| فهرس | 70 |